جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي
معهد العلوم الإسلامية
قسم أصول الدين

الشيخ أبو بكر جابر الجزائري وجهوده في التفسير الإصلاحي من خلال عنصر هداية الآيات من تفسير سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام
-الجانب العقدي أنموذجا-

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر
في العلوم الإسلامية – تخصص: التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:
عبد الحميد طاجين

الأستاذ المشرف:
د/ عباس منصر

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
		جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	رئيسا
عباس منصر	دكتور	جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	مشرفا ومقررا
		جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي	ممتحننا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019-2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمان الرحيم

الإهداء

إلى السيد الأول...صاحب الجبين الأزهر، والوجه الأنور، والخلق الأجمل،

والفعل الأكمل...حبيبي وقائدي

محمد ﷺ

إلى من في انتمائي لهما العزة والشرف...إلى من تحمّلا مشقّة الحياة

لسعادتي :

شحذا عزائمي..

وغرسا فيّا حب العلم والمعرفة..أبي وأمي

إلى أعز ما في الوجود ..زوجتي.

إلى من تربّوا وسهروا معي...إخوتي وأخواتي.

إلى من تعلمت على أيديهم العلم والمعرفة....أساتذتي.

إلى من هم دائمو التواصل معي....أصدقائي.

إلى المجاهدين الصامدين...والمشردين والمعذّبين...من أبناء فلسطين

الحبيبة وسوريا ولبنان الغاليتين واليمن الشهمة والعراق الأبية

شكر وعرفان

بسم فالق الحب والنوى، باحث الحق المصطفى، حبيب الأفئدة والأنفس لا يسعني في هذا المقام إلّا أن أتقدّم بأسمى آيات الشكر إلى الله سبحانه وتعالى على امتنانه وتوفيقه وإحسانه وهو خير معين.

إلى من كانت نصائحه وإرشاداته مصباحا منيرا الذي لم يبخل علي بتقديم توجيهاته وسعة صدره، فبارك الله فيك شيخي وأستاذي المحترم :

الدكتور عباس منصّر

كما أتقدم بالشكر إلى كل أساتذة معهد العلوم الإسلامية الذين سقوني من فيض علمهم، وإلى كل من قدّم لي يد المساعدة والعون، كما لا أنسى كل طاقم معهد العلوم الإسلامية وإلى كل طلبة معهد العلوم الإسلامية خاصة طلبة تخصص تفسير وعلوم القرءان، فشكرا لهؤلاء وإلى أولائك الذين لم أتمكن من ذكر أسماءهم.

والحمد لله أولا وآخرا

ملخص البحث

في هذا البحث دراسة حول جهود الشيخ أبي بكر جابر الجزائري عالم التفسير الإصلاحي ورائده في هذا العصر من خلال هداية الآيات في الجانب العقدي في الربع الأول من القرآن الكريم، من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام من تفسيره أيسر التفاسير خِدمةً للقرءان الكريم.

وقد تناولت فيه التعريف بالشيخ الإمام العلّامة جابر الجزائري وذلك من خلال إستعراض لسيرته مع إبراز الجانب العلمي فيها، وتكلمت عن كتابه أيسر التفاسير وما تميز به من سهولة وتفرد في إبراز هداية الآيات حتى يتمكن من فهمه جميع المسلمين والمسلمات وكل من يقرأه مع التركيز على عقيدة التوحيد أو بما سماها العقيدة السلفية المنجية.

كما تطرقت إلى مفهوم التفسير الإصلاحي وأهم خصائصه وبعض أعلامه وخاصة من تأثر بهم الشيخ في التفسير الإصلاحي هذا في المبحث الأول، وأما المبحث الثاني فكان عبارة عن تطبيق للمبحث الأول، ليخلص البحث إلى براعة الشيخ أبي بكر جابر في إبراز التفسير الإصلاحي في الجانب العقدي من خلال عنصر هداية الآيات وإسقاطه على الواقع المعيش.

وخُتمت هذه الدراسة بنتائج وتوصيات.

Summary of the study

This study is about the effects of cheikh Aboubaker El Djazairi, the scholar of the reformative interpretation and the pioneer of this epoch thanks to his book “the guidance of the Quran verses (Hidayat El-Ayat) in the belief side in the first quarter of the holy Quran exactly from the Sura of El Fatiha to the Sura of El- Aname from his book of El Tafsir the “Easiest Tafsir (interpretation)” at the service of the “Holy Quran”.

The study includes the biography of cheikh and the scholar Aboubaker Djabar El-Djazairi through shedding light on his personal life especially, his biography , focusing on the scientific side , as well the study speaks about one of his important books , the Easiest Tafsir (of the Quran) , its simplicity and exclusive in making the guidance of the Quran verses clear and beneficial so as to make the Muslims and who ever read it able to grasp and understand it easily in addition to the emphasis on the belief of the oneness of Allah or what he named the “ Salafi Creed EL- Mondjya “.

The study deals also with the notion and the concept of the reforming , interpretation , its characteristics and some of its well- known pioneers especially those who made great influence on him , all what is said before is included in chapter one .The second chapter is about the practical side of chapter one. In conclusion, Sheikh Abi Bakr Jaber’s brilliance and genius lies in his ability to highlight the reforming interpretation in the believing aspect through the element of guiding verses and its implementation in the real life. The study is finished with results and recommendations.

قائمة الرموز والإشارات المستعملة

" "	حديث أو أقوال العلماء
هـ	تاريخ هجري
م	تاريخ ميلادي
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
﴿ ﴾	آيات

مُقَدِّمَة

مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدِ الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلن تجد له وليّا مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن مُحَمَّدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، اللهم صلي وسلم على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن من نعم الله على عبده أن يمنّ عليه بعد الإيمان بالعلم وطلبه، وأفضل طلب العلم ما يساعد ويوصل إلى فهم كتاب الله عز وجل لأنه النور الذي منّ به الله على الناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [**إبراهيم :2**].

ومن أعظم ما منّ الله به على أمة مُحَمَّد ﷺ أن بعثه فيها بالقرآن الكريم، قال تعالى﴿**لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [**آل عمران :164**]، وعليه فإنه ﷺ علم أصحابه ما في هذا القرآن من هدايات آياته لأنه لا ريب أنه هدى لهؤلاء المتقين الذين أرضوا الله فأرضاهم، إنهم قرأوا القرآن وتدبروه بحضرة رسول الله ﷺ وفهموه فعملوا به، ففازوا بالدارين، ومن منّ الله علينا أن وصلنا هذا النور–القرآن– عن طريق التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا وخاصة في عصرنا هذا، فقام ثلة من أهل العلم من أمثال شيخنا أبي بكر جابر الجزائري يبلغون رسالة مُحَمَّد ﷺ وذلك عن طريق التفاسير الهامة التي تبين ما جاء في القرآن الكريم حتى يهتدي به المهتدون.

فها هو الشيخ أبو بكر يفوز بهذا الوسام العظيم، وسام العلماء ورثة الأنبياء لأنهم يبلغون عنهم بأمانة ما أمرهم الله به.

فزيادة على عشرات الكتب التي ألفها في مجال الدعوة والإصلاح، يتوّجها بأيسر التفاسير يُسهّل الفهم والتدبير، كل ذلك خدمة لكتاب الله، فهل أُمنحُ الشرف أن أقوم ببحث أدرس فيه جهود هذا الشيخ العظيم في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب

العقدي لعلني أفوز مع الفائزين يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، فيمنحني الله أجر خُدّام كتابه فأكون من المأجورين.

وبعد استشارة شيخي عباس منصّر اخترت بتوجيه منه الموضوع الآتي:

الشيخ أبو بكر جابر وجهوده في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات من تفسيره في الجانب العقدي في الربع الأول للقرآن الكريم.

أهمية الموضوع: تكمن أهمية الموضوع في:

1- تعلق الموضوع بكتاب الله عز وجل من خلال جهود الشيخ في التفسير الإصلاحي لهداية آيات القرآن الكريم.

2- أنه يتناول علما من علماء الجزائر في التفسير الإصلاحي المشهود له بالمكانة العلمية من طرف علماء العصر الذين شهدوا بفضله وشهدوا له بالحفظ وسعة العلم والمعرفة وذلك لتمكنه في علوم كثيرة من أهمها التفسير.

3- التعرف على كتاب أيسر التفاسير الذي هو من التفاسير الإصلاحية والذي يحتاجه وقتنا المعاصر حتى يفهم الناس كلام ربهم.

4- خدمة كتاب الله والتفسير.

5- حداثة الموضوع بأنه لم يُتطرّق قبلُ –على حد علمي- بالبحث والدراسة.

إشكالية الموضوع :

ومن هنا تظهر أهمية البحث في موضوع الشيخ أبي بكر جابر الجزائري وجهوده في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات من تفسيره في الجانب العقدي من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام، وعليه نطرح التساؤلات التالية :

1- ماهي جهود الشيخ في التفسير الإصلاحي من خلال عنصر هداية الآيات في الجانب العقدي من كتابه أيسر التفاسير في الربع الأول؟

2- من هو أبوبكر جابر الجزائري؟

3- ماهو تفسيره الإصلاحي؟

4- ماهو مفهوم التفسير الإصلاحي؟

5- ماهي خصائص التفسير الإصلاحي؟

6- من هم أعلام التفسير الإصلاحي الذين تأثر بهم الشيخ؟

هذا ما سأحاول الإجابة عنه في هذه المذكرة المتواضعة بعون الله تعالى.

أسباب اختيار الموضوع :

1- الرغبة العارمة في التعرف على هذا الرجل العظيم الذي كان سببا في معرفتي الشرعية لحكم الله في الغناء، وذلك من خلال رسائله.

2- حبّي لكتاب الله وزيادة الفهم له.

3- قلّة الدراسات حول هذا العالِم الجليل وتفسيره.

4- أهمية التفسير الإصلاحي في نهضة الأمة الإسلامية.

5- إثراء المكتبة الإسلامية بمثل هذه الدراسات.

6- المساهمة في نشر الفكر الإصلاحي.

أهداف البحث: إن الهدف من تناول هذا الموضوع يتمثل في:

1- الاستزادة في تعلم كيفية البحث واكتشاف معلومات جديدة.

2- التعرف على الشيخ أبي بكر جابر وتفسيره أيسر التفاسير.

3- إبراز ما للشيخ أبي بكر من جهود في التفسير الإصلاحي.

4- الاستفادة من هذه الجهود من أجل الإضافة في مجال الدعوة والإصلاح.

منهج البحث :

1- استعملت المنهج الوصفي التحليلي في المبحث الأول والذي هو بعنوان: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري وتفسيره الإصلاحي.

2- استعملت المنهج الاستقرائي الإستنتاجي في المبحث الثاني الذي هو تحت عنوان جهود الشيخ أبي بكر جابر الجزائري في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب العقدي.

الدراسات السابقة: وحسب ما بحثت فإني لم أجد ما يساعدني كثيرا في هذا لبحث مباشرة وإنما يكون قد استفدت منه بتسخيره في خدمة فكرة ما من هذا البحث.

1- هناك رسالة علمية دكتوراه نوقشت بجامعة إفريقيا العالمية بالسودان تحت عنوان "الشيخ أبو بكر جابر الجزائري ومنهجه في التفسير من خلال كتابه أيسر التفاسير وهامشه نهر الخير" للطالب الوليد صدّيق خالد أبو بكر في عام 2012م، ولم يُسعدني الحظ أن أستفيد منها لأنها لم تُنشر، وإنما نُشر مخططها الذي اطلعت عليه وأعطاني فكرة عن الموضوع وقد تكلمت عن هذا المخطط أثناء تناول الدراسات التي تناولت كتاب أيسر التفاسير.

2- واطلعت على مقال جيد بعنوان "الشيخ أبو بكر جابر الجزائري الواعظ، المصلح، الفقيه، المفسّر" للدكتور المسعود جمادي أستاذ مشارك بقسم العلوم الإسلامية جامعة بوضياف المسيلة، وهو من جامعة محند آكلي أولحاج بالبويرة في مجلة الإحياء، المجلد التاسع عشر، العدد الثاني والعشرون، سبتمبر 2019، يبدأ من صفحة 627 إلى صفحة 660، يقع في 34 صفحة.
قد استفدت من مقاله هذا في المبحث الأول-جزاه الله كل خير-.

منهجيتي في البحث: من أهم الخطوات التي سرت عليها في البحث:

1- عزو الآيات وبيان سورها في المتن.

2- تخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها وذلك بذكر المؤلف الذي روى الحديث ورقم الجزء والصفحة وقد أقتصر على رقم الحديث.

3- ترجمة للأعلام الغير مشهورين حسب ما رأيت.

4- رتبت الآيات على ترتيب المصحف بينما رتبت الأحاديث والآثار ألف بائيا.

5- عند توثيق المعلومات في هامش المذكرة أذكر معلومات المرجع بالترتيب التالي :إسم المؤلف ثم إسم المؤَلّف (كتاب، مقال..) ثم مرجع سابق(عندما يكون المرجع مذكور في صفحة سابقة) ثم الجزء ثم الصفحة، بينما تفاصيل المرجع تكون مذكورة في فهرس المصادر والمراجع، وفي حالة استعمال مرجع قد استعملته سابقا في نفس الصفحة أكتفي بذكر الجزء والصفحة مع عبارة "المرجع نفسه".

6- عدم وجود الطبعة أو دار النشر أو التحقيق أو سنة النشر في التهميش معناه عدم وجودها في المرجع.

7- في المبحث الثاني قبل أن نتطرق إلى الأمثلة وهداية الآيات بدأت بتمهيد ثم بالمطلب الأول بعنوان شرح مصطلحات المبحث، ثم في المطلب الثاني عند الفرع الأول أمثلة من سورة الفاتحة، كتبت سورة الفاتحة لقصرها بأكملها ثم جعلت تمهيدا قبل تناول هداية الآيات، ثم بعد ذلك تطرقت أولا إلى هدايات السورة وثانيا الإيضاح والتحليل والاستنتاج، أما في بقية الفروع فإني أبدأ بالتمهيد للسورة ثم أذكر المثال المراد معالجته أعني بذلك الآيات ثم أبدأ أولا بهداية الآيات وثانيا الإيضاح والتحليل والاستنتاج.

8- إن عدد الأمثلة لهداية الآيات المختارة في معالجة جهود الشيخ أبي بكر في التفسير الإصلاحي كانت بالنسبة لسورة الفاتحة كاملة، وبالنسبة للسور الأخرى كانت الأمثلة بين ثلاثة وأربعة أمثلة إلا سورة الأنعام كانت فيها خمسة أمثلة لأن المثال الخامس كان عبارة عن خلاصة عن ما جاء في الربع الأول من القرآن في الجانب العقدي.

9- كل مبحث ينتهي بخلاصة تتضمن ما جاء في المبحث مع أهم استنتاج لمضمون هذا المبحث.

10- فهرستُ للآيات المختارة للدراسة دون الآيات المستشهد بها.

خطة البحث: إحتوى هذا البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، في المقدمة تكلمت عن عناصرها، وفي المبحث الأول تناولت فيه ترجمة عن حياة الشيخ وكتابه أيسر التفاسير والتفسير الإصلاحي خصائصه وأعلامه وأنهيته بخلاصة، أما المبحث الثاني فتناولت فيه جهود الشيخ أبي بكر والتفسير الإصلاحي من خلال عنصر هداية الآيات في الجانب العقدي من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام وأنهيته كذالك بخلاصة.

وختمت البحث بخاتمة أوجزت فيها ما توصلت إليه من أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع:

إعتمدت في إنجازي لهذا البحث على عدة كتب متنوعة، ففي التفسير اعتمدت كثيرا على كتاب أيسر التفاسير للشيخ لأبي بكر جابر الجزائري و تفسير ابن باديس وصفوة التفاسير للشيخ علي الصابوني والتفسير الموضوعي لمصطفى مسلم...، وفي علوم القرءان إعتمدت على الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي، وفي مناهج التفسير إعتمدت على تعريف

الدارسين بمناهج المفسرين لصلاح عبد الفتاح الخالدي، وفي اتجاهات التفسير اعتمدت على اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر لفهد بن عبد الرحمان الروهمي، وفي اللغة اعتمدت على معجم مقاييس اللغة لابن فارس ومعجم مفردات ألفاظ القرءان للراغب الأصفهاني.

صعوبات البحث:

لا أعتقد أن هناك بحثا خلى من الصعوبات ولكن بالتوكل على الله ثم التحرك والبحث تُزال شيئا فشيئا فيجد الطالب الصادق في البحث لذة ومتعة يتمنى فيها أن يكون باحثا طول حياته وهذا هو الإحساس الذي شعرت به، ومن هذه الصعوبات:

1- قلة المصادر والمراجع في هذا الموضوع.

2- عدم وجود دراسات وبحوث مباشرة خاصة في المبحث الثاني.

3- تعذر الاتصالات المباشرة مع الأساتذة الذين كان من الممكن الإستفادة منهم وهذه الصعوبات كلفتني جهودا كبيرة بذلتها، لكني مع ذلك شعرت بأنه واجب لخدمة كتاب الله وخُدّام كتابه.

أسأل الله أن يكون هذا البحث إضافة إلى المكتبة الإسلامية وانطلاقا لبحوث أخرى في خدمة الإسلام والمسلمين، وأسأل الله التوفيق لي ولجميع المسلمين.

آمين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري والتفسير الإصلاحي

المطلب الأول: التعريف بالشيخ أبي بكر جابر الجزائري

المطلب الثاني: كتابه أيسر التفاسير

المطلب الثالث: التفسير الإصلاحي خصائصه و أعلامه

المبحث الأول: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري والتفسير الإصلاحي

إن الداعية الكبير المصلح الشيخ أبا بكر جابر الجزائري هو أحد علماء الجزائر وأعلامها في القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين قرن التحدّيات بحيث ظهرت يقظة العالم الإسلامي الذي أراد أن يتخلص من الأغلال التي قيّدته وكبّلته إلى أن ساد فيه التخلف في جميع الأصعدة الدينية والدنيوية، ففي مجالات الحياة إبتعد الناس عن العلم فسادت فيهم الخرافات، وفي مجال الدين ظهرت الشعودة والبعد عن العقيدة الصحيحة عقيدة التوحيد التي رفعها سلفنا الصالح فقادوا العالم فانقاد لهم، فبابتعادهم عن كتاب الله أصبحوا لا يفهمون منه إلا القليل حتى انحصر فهمهم في التبرّك به ؛ كم من مرة تُقرأ السورة الفلانية حتى يُنال بها عدد الحسنات دون الالتفات إلى فهمها والعمل بما جاء فيها.

فقيّد الله علماء أمثال الشيخ أبي بكر لإحياء فهم كتاب الله عز وجل من جديد لأن التفاسير القديمة أصبحت بعيدة عن الفهم لعجز أهل هذا الزمان بسبب جهلهم باللغة العربية، والقرآن عربي وهذا ما جاء فيه، قال تعالى﴿ **قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ [**الزمر** :**28**]، فجاء الشيخ بتفسير سهل يمكن لكل من أراد فهم القرآن أن يقرأ فيه بيسر فيدرك معاني القرآن الكريم وسمّاه أيسر التفاسير.

فمن هو العلّامة خادم كتاب الله أبوبكر جابر؟ وما هو أيسر التفاسير الذي ألفه؟ وماهو التفسير الإصلاحي وخصائصه؟ ومن هم بعض أعلامه؟ هذا ما سنتناوله في هذا المبحث بعون الله تعالى.

المطلب الأول: التعريف بالشيخ أبي بكر جابر الجزائري

إذا كان الشيخ أبو بكر هو أحد علماء الجزائر في الدعوة والإصلاح فجدير بنا أن نعرف من هو بشيئ من التفصيل حتى نقتدي بما قام به من العمل الصالح.

الفرع الأول: نسبه ومولده ونشأته:

أولا: اسمه ونسبه: إسمه هو أبو بكر جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبوبكر الجزائري، والشيخ أبوبكر من بني هلال أحد القبائل العربية التي خرجت من الجزيرة العربية واستقرت في إفريقيا واستوطنت فيها فهو إذن عربي الأصل.[1]

ثانيا: مولده ونشأته: ولد الشيخ بقرية ليوه وهي قرية فلاحية من قرى مدينة بسكرة تبعد عنها بأربعين كيلو مترا تقريبا غربا وذلك سنة 1342هـ الموافق لسنة1921م بالقرب من طولقا التي تبعد عنها بإثني عشر كيلو مترا جنوبا، وكانت تسمى بسكرة بعروس الجنوب لأنها واحة جميلة في صحراء الجزائر، توفي والده في عامه الأول فنشأ في حجر أمه وساعدته على حفظ القرآن برعايتها، كما كانت أسرته أبا عن جد حُفّاظا للقرءان الكريم يتوارثونه فنشأ في هذا الجو القرآني المتديّن وأتمّ حفظ القرآن على يد الشيخ قارا بالقاسم بن ثابت معلم القرآن بالحي، وغرست فيه أمه الأخلاق الفاضلة كالصدق والأمانة، وقد أمّ الناس بمسجد حيه بليوه في صلاة التراويح وسنّه ثلاثة عشر سنة وهذا نقلا عن أحد تلاميذ الشيخ الذي كان قريبا له من جهة أمه وتتلمذ عليه في مرحلة الإبتدائي والمتوسط والثانوي بالمدينة المنورة.[2]

---

[1] ينظر: نبذة عن الشيخ أبو بكر الجزائري، موضوع لم يذكر اسم صاحبه، أخذته يوم: 2020/08/23م، في الساعة: 13:14، الموقع الرسمي لأبي بكر جابر الجزائري، من الصفحة العنكبوتية الآتية:htpp://algzaeri.com

وينظر مُحَمَّد بن إبراهيم السعيدي: ، ترجمة العالم الواعظ المعمّر أبو بكر الجزائري، إعداد : مركز سلف للبحوث والدراسات، من موقع "أعلام السلفية13" على الشبة العنكبوتية، من الصفحة الآتية: https://salafcenter.org

[2] مكالمة هاتفية مع: الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرحمان تمّام يعيش، وهو أحد تلاميذ الشيخ أبي بكر وأبناء حيّه الذي عاش مع الشيخ بالمدينة المنورة من سنة 1965/1955م، يوم: الجمعة 2020/08/14م، في الساعة: 11:30.

ولما سمع أن ببسكرة شيخا يعلّم النحو والفقه وهو الشيخ عيسى معتوقي جاء به إلى قريته وأسكنه في بيته وخدَمه من أجل تعليمه فدرس عليه مجموعة من المتون من ضمنها الأجرومية ومنظومة ابن عاشر في الفقه المالكي ومتونٍ في مصطلح الحديث وغيره.[1]

الفرع الثاني: حياته العلمية وشيوخه وتلاميذه

أولا: حياته العلمية: نستطيع أن نقول أن حياته العلمية بدأت منذ صغره في قريته الصغيرة "ليوه" بحفظه للقرآن على يد شيخه بلقاسم قاره، كما تعلم في هذ الفترة مبادئ بعض العلوم عن شيخه عيسى معتوقي مبادئ النحو من الأجرومية ومنظومة ابن عاشر في الفقه المالكي و غيرها من مبادئ العلوم، وعلّم القرآن مدة أربعة سنوات في مسجد جده سيدي مُحَمَّد بن الحاج[2]، ثم بعد ذلك انتقل إلى بسكرة وتعلم عن بعض من شيوخها منهم: نعيم النعيمي، الطيب العقبي، وقد لازم الشيخ الطيب العقبي وتتلمذ عليه وكان الشيخ الطيب العقبي قد درس في المسجد النبوي العقيدة الصحيحة الصافية على مشايخ الدعوة عند دخول الحجاز تحت الحكم السعودي فتأثر به ولازمه في دروس التفسير عدّة سنوات في العاصمة الجزائرية وهو من أحب الشيوخ إليه.

ولقد اشتهر الشيخ بمشاركته في مختلف النشاطات الإسلامية فعمل في حزب البيان الجزائري، ثم في شباب الموحدين ومارس التعليم لكتاب الله عز وجل كما علّم بمدارس جمعية العلماء المسلمين بالعاصمة وعمِل في الصحافة فأنشأ مجلة الداعي والتي لم يصدر منها إلا بضعة أعداد وكانت كاسمها "دعوة إلى توحيد الأحزاب والجمعيات الجزائرية"، وبعد منع جريدة الداعي أُسندت إليه إدارة جريدة اللواء الناطقة بشباب الموحّدين واستمرّ في إدارتها إلى أن ترك الجزائر وهاجر إلى الحجاز في 1372هـ فقدم إلى مكّة للحج والعمرة والزيارة وكان ينوي العودة إلى البلد بعد آداء فريضة الحج إلا أن الجزائريين المهاجرين المقيمين بالمدينة حبّبوا إليه البقاء للإستفادة منه وخاصة عمّه عيسى رحمه الله الذي كان محِبّا للمدينة النبوية المنورة وتمنّى الموت بها واستجاب الله دعاءه فمات بعد الحج مباشرة فتأثر الشيخ بذلك في حبه للمدينة المباركة

[1] المرجع السابق.

[2] المرجع نفسه.

الطاهرة فأحبّ المدينة فصار عَلَمها وهذه ثمرة الحب الصادق فعقد العزم على البقاء بها، وواصل بعد ذلك الأخذ على مشايخها فلازم حلقة الشيخ عمر برّي والشيخ مُحَمَّد الحافظ وكذلك الشيخ مُحَمَّد خيّال ورئيس قضاتها وخطيب مسجدها الشيخ عبد العزيز بن صالح.

وفي عام 1374هـ الموافق ل1961م حصل الشيخ أبوبكر على الشهادة العالمية من كلية الشريعة من جامعة الرياض كما حاز على جائزة من رئاسة القضاة بمكة المكرمة للتدريس بالمسجد النبوي الشريف.[1]

ثانيا: شيوخه وتلاميذه:

أ- شيوخه: وقد تلقى علومه على يد الكثير من الشيوخ داخل الجزائر وخارجها في المدينة المنورة.

1-شيوخه في الجزائر: ونذكر منهم:

- الشيخ نعيم بن أحمد النعيمي البسكري القسنطيني: أحد علماء الجزائر ينتمي إلى أولاد جلال حركات وهم من بني نايل ولد عام 1909م بنواحي بسكرة، تعلم القرآن وحفظه حفظا جيدا بزاوية الشيخ المختار بأولاد جلال،كانت له ذاكرة عجيبة في تخزين المعلومات، ويذكر الأستاذ بلقاسم النعيمي مديرثانوية . سابقا . بخنشلة وأحد أقاربه " كان والد الشيخ نعيم النعيمي فلاحا بسيطا يملك قطعة في بادية سيدي خالد وله قطيع صغير من الغنم، كانت جهوده رحمه . الله . مركّزة على الإتصال برجال العلم والاستزادة من المعارف، إشترك في تأسيس جمعية علماء المسلمين الجزائرين.

- الشيخ الطيب العقبي: هو الطيب بن مُحَمَّد بن إبراهيم، ولد بمدينة سيدي عقبة بولاية بسكرة في الجزائر عام 1307هـ .1889م نسبة إلى قبيلة أولاد عبد الرحمان الأوراسي، هاجر مع عائلته إلى المدينة المنورة وهو ابن خمس أو ست سنوات، تلقّى العلم في الحرم النبوي الشريف، عمل مع شريف مكة في جريدة القبيلة، عاد إلى الجزائر عام 1337هـ . 1920م.[2]

---

[1] مكالمة هاتفية، المرجع السابق، وينظر: المسعود جمادي، الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر(مقال)، مجلة الإحياء، المجلد19، العدد22، سبتمبر2019، ص634.

[2] ينظر: مُحَمَّد بن رزق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، ج1، ص201 /202.

2-شيوخه في المدينة النبوية:

- الشيخ عمر البري: هو إبراهيم بن عبد القادر بن عمر بن إبراهيم البري الهاشمي القرشي أديب وفقيه حنيفي من أعلام المدينة المنورة ورجالات التعليم في القرن الرابع عشر الهجري، كان مرجعا للفتوى وقاضيا بالمدينة المنورة من سنة 1344هـ إلى سنة 1346هـ، ثم استقال من القضاة واقتصر على الإفتاء ولم ينقطع عن التدريس بالحرم النبوي، وهو من أحفاد عبد الله المالكي الهاشمي القريشي من ذرية مُحَمَّد بن الحنيفة بن علي بن أبي طالب.

- الشيخ مُحَمَّد بن عبد المحسن الخيّال: ولد في سنة 1318هـ، نشأ الشيخ مُحَمَّد الخيال في كنف والده وينتمي إلى عائلة كريمة ومعروفة بالعلم والفضل من قبيلة عنزة، وسبب تسمية العائلة ب (الخيال) أن جدهم كان يمتطي فرسا أثناء تجوله بالبلد، وانحدرت من سلالته عائلة الخيّال المعروفة في المِجمَعة.[1]

ب: تلاميذه: تخرّج على يديه كثير من طلاب الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية في مرحلة الماجستير والدكتراه في قسم التفسير، أما في كلية الشريعة بالجامعة والمسجد النبوي الشريف فلا يُحصِى عدد التلاميذ المتخرجين على يديه إلا الله نذكر منهم:

1- الشيخ أبا عبد المعز مُحَمَّد علي فركوس.

2- الشيخ العلّامة عبد الله بن صالح بن محيي الدين.

3- الأستاذ الدكتور الشيخ عدنان بن عبد العزيز الخطيري.

4- الشيخ عبد الرحمان بن صدوق الجزائري.

5- الشيخ إدريس بن إبراهيم المغربي.

6- الشيخ حمزة بن حامد بن بشير القرعاني.

7- الشيخ الدكتور عبد الله بن الشيخ مُحَمَّد الأمين.

8- الشيخ الدكتور مختار بن الشيخ مُحَمَّد الأمين.

9- الشيخ الدكتور عمر بن حسن فلاته المدرّس بالمسجد النبوي.

10- الشيخ عواد بن بلال بن معيض.

[1] ينظر: مُحَمَّد بن رزق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب افريقيا، مرجع سابق، ص202.

11- الشيخ عبد الله بن فايز الجهني.

12- الشيخ عبد الحليم نصار السلفي.

13- الشيخ الدكتور حسام الدين عفانة.

14- الشيخ صالح المغامسي إمام وخطيب مسجد قباء.[1]

الفرع الثالث: مذهبه العقدي ومكانته العلمية:

أولا: مذهبه العقدي: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري عقيدته هي عقيدة أهل السلف أي عقيدة أهل السنة والجماعة وهذا واضح من خلال كلامه سواء كان في كتابه منهاج المسلم أو مقدمة تفسيره أيسر التفاسير، قال في كتابه منهاج المسلم: "وقد سلكت -بتوفيق الله- في وضعه مسلكا حسنا إن شاء الله تعال، ففي باب الإعتقادات لم أخرج عن عقيدة السلف لإجماع المسلمين على سلامتها، ونجاة صاحبها، لأنها عقيدة الرسول ﷺ، وعقيدة أصحابه والتابعين لهم من بعده، وعقيدة الإسلام الفطرية، والملة الحنفية التي بعث الله بها الرسل، وأنزل فيها الكتب، وفي باب الفقه –العبادات والمعاملات- لم آل جهدا في تحرّي الأصوب واختيار الأصح، مما دوّنه الأئمة الأعلام، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد رحمهم الله تعالى أجمعين، مما لم يوجد له نص صريح، أو دليل ظاهر من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ. ولهذا أصبحتُ لا يخالجني أدنى ريب، ولا يساورني أقل شك في أن من عمل من المسلمين بهذا المنهاج-سواء في باب العقيدة أو الفقه، أو الآداب أو الأخلاق- هو عامل بشريعة الله تبارك وتعالى، وهدي نبيه ﷺ "، [2] ونراه في هداية الآيات في كتابه أيسر التفاسير يركز على الجانب العقدي ويُبرزه لأنه يراه هو الأساس ومن خلال إصلاح العقيدة يصلح كل شيئ عند المسلمين وهذا ما أكّده في مقدمة كتابه أيسر التفاسير بقوله: "ونظرا لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير ميسّر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم، تُبيّن فيه العقيدة السلفية المنجية"،[3] وهذا ما نراه بارزا في جميع ما كتب وألّف، فهو عاش

[1] ينظر المسعود جمادي، مجلة الإحياء، الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر (مقال) ، مرجع سابق، ص635.

[2] أبوبكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، دار الفكر، ص7.

[3] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، ص6.

حياته يدافع عن عقيدة السلف، عقيدة الإسلام الصحيحة المنجية كما عبّر عنها، مما أكسبه مكانة عالية عند أهل العلم والمسلمين عامة، قال فيه الأستاذ الدكتور المسعود جمادي :"يتميز الشيخ الجزائري بعقيدته الصافية وأفكاره الإصلاحية التي تبعث على النهضة الإسلامية على منهج صحيح".[1]

ثانيا: مكانته العلمية: إن الشيخ بجهاده في العلم منذ الصغر إلى أن لقي ربّه وهو يتعلم ويُعلّم ناشرا دعوة الإسلام في أصقاع العالم من أجل الإصلاح ونشر الخير ونور الإسلام، ذلك ما جعله يرقى إلى مكانة عالية عند الله وعند عباده.

حظي الجزائري بتقدير كبير عند الأوساط العلمية في البلدان العربية والإسلامية، واعتبره الإتحاد العالمي للعلماء المسلمين واحدا من أبرز العلماء الربّانيين والمفكرين الذين عُرف عنهم الورع والتقوى والعلم.

وعُرف الشيخ أبو بكر جابر على نطاق واسع بحكم التدريس بالحرم النبوي الشريف ما يقرب خمسين عاما الشيئ الذي أكسب دروسه وكتبه زخما كبيرا، ويُعدّ أحب كتاب إليه "منهاج المسلم" من أكثر مصنّفاته قبولا وانتشارا في العالم وعلى الأخص في البلدان العربية، ولكونه أستاذا بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة لأكثر من عشرين عاما أكسبه ذلك مكانة عالية ومهمة في الوسط الأكاديمي الشرعي.[2]

الفرع الرابع: وفاته وثناء العلماء عليه وآثاره العلمية

فها هو الشيخ بعد جهاد كبير في هذه الدنيا الفانية ينتقل إلى جوار ربه إلى دار القرار، قال تعالى: ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ **[القصص :83]**، وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : أن رسول الله ﷺ قال :"**إِذَا مَاتَ اِبْنُ آدَمَ اِنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٌ :صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ** "[3]، والشيخ ربما حاز هذه كلها وخاصة علمٌ يُنتفع به.

---

[1] ينظر المسعود جمادي، مجلة الإحياء، الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر (مقال) ، مرجع سابق، ص636.

[2] المرجع نفسه، ص646.

[3] الألباني، السلسلة الصحيحة، صفحة 556.

أولا: وفاته: وشاعت إشاعات عن وفاته في شهر مارس 2014م، وردّ موقع الشيخ الرسمي العام بأن الشيخ أبا بكر الجزائري حي يُرزق وهو يتمتّع بصحة جيدة، وكل ما قيل عن وفاة الشيخ كذب وإشاعة.

وبعد جهاد طويل في التدريس والعمل الدعوي ’شاء الله أن يكرمه بوفاة في المدينة المنورة وذلك يوم الأربعاء 4 ذوالحجة 1439هـ الموافق لـ 15أغسطس 2018، عن عمر ناهز 97 عاما ،بعد صراع مع المرض، وصُلّي عليه صلاة الجنازة بعد ظهر يوم وفاته في المسجد النبوي الشريف، ووُري جثمانه الثرى في مقبرة البقيع.

أدّت جموع المصلين في المسجد النبوي في المملكة العربية السعودية بإمامة الشيخ عبد الباري الثُّبَيْتي صلاة الجنازة عقب صلاة الظهر على فضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري المدرّس بالحرم الشريف على مدى أكثر من نصف قرن وأحد كبار رموز الدعوة في العالم الإسلامي، وكان من بين الحاضرين في هذه الجنازة أحد تلاميذه من مدينة تقرت.[1]

وقد حُمل نعشه على الأكتاف مُحاطا بحشود كثيرة من الناس اكتظت بهم ساحات الحرم وظلت ملازمة له حتى وُري جثمانه بقيع الغرقد إلى جوار عشرة آلاف من الصحابة بعد عمر حافل بالوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله بحكمة وموعظة حسنة.

ثانيا: ثناء العلماء عليه: قال عنه الإمام العلّامة حمّاد الأنصار محدّث المدينة: "رأيت في المنام الشيخ أبي بكر الجزائري يمشي، وهو لابس لباسا لم أر أحد في الدنيا لابسا مثله، ومعه شخص آخر لابس لباسا أقل منه، فأولته بلباس التقوى "، وقال عنه بدر المدينة الشيخ عبد المحسن العبّاد:"وبعد انتقال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى من رئاسة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، كان رحمه الله كلما التقيته يسألني عن الدروس في المسجد النبوي والمدرسين فيه ويخص بالسؤال عن الشيخ أبي بكر الجزائري "، وبعد وفاته ترحّم عليه الشيخ صالح المغامسي الذي تتلمذ على يديه فقال:"رحم الله شيخنا أبا بكر جابر الجزائري، وغفر له وجزاه عنا وعن العلم، وأهله خير الجزاء، شرُفت بالجلوس بين يديه

[1] هو: "علي عنانو" المولود سنة 1942م والذي كان كثير التردّد على المدينة المنورة بحكم إقامة والديه هناك، وقد درس مرحلة الإبتدائي والإعدادي بالمدينة المنورة.

في حلقاته بالمسجد النبوي قبل ثلاثين عاما ونيّف، عالم مُبارك، عذب الحديث، عفّ اللسان، قريب من العامّة، ناصح، محبّ لولّاة الأمر، فاللهم اجبر كسرنا وارحم شيخنا"، كما ترحّم عليه الداعية الدكتور مُحَمَّد العريفي بقوله: "اللهم اغفر له وارحمه، وارفع درجته، وأخلف على أهله خيرا"، وترحّم عليه الداعية عادل الكلباني :"إنا لله وإنا إليه راجعون، الله يغفر له ويرحمه ويتجاوز عنه، ويجبر مصابنا فيه، ويخلفنا خيرا منه"، وقال عنه الدتور الداعية خالد الخشلان: "حينما تتوارد الألسن تلقائيا في الثناء على إنسان بعد وفاته من غير تواطئ تدك عندها معنى قول النبي ﷺ :"**أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ**"[1]، كلنا راحلون عن هذه الدنيا ولكن هنيئا لمن أثنى عليه عباد الله المؤمنون خيرا عند رحيله ".[2]

وقال فيه الأستاذ الدكتور المسعود حمادي: " إن الشيخ حفظه الله مجاهد؛ جاهد بلسانه وماله في الدعوة إلى الله على بصيرة وبالحكمة، والموعظة الحسنة على هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، والله حسيبه، ولا نزكّي على الله أحدا وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين".[3]

ثالثا: آثاره العلمية: خلف الشيخ الإمام العلّامة أبو بكر الجزائري مؤلفات كثيرة تميزت بسهولة الأسلوب وجزالة التركيب وقوته، تُفهم بسهولة، فكتبه إصلاحية ودعوية تقرب الفهم الإسلامي الصحيح الخالي من البدع والخرافات نذكر منها ما يلي[4]:

1-**منهاج المسلم**:كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، وهو جامع لأصول الشريعة الإسلامية وفروعهما ويعد من أكثر مؤلفاته إنتشارا في العالم العربي.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، في الشهادات، باب تعديل كم يجوز، حديث رقم 2648، ورواه مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز، باب في من يُثنى عليه خيرا أو شرا من الموتى، حديث رقم 1949.

[2] ينظر المسعود جمادي، مجلة الإحياء، الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر (مقال)، مرجع سابق، ص645/647.

[3] المرجع نفسه، ص645.

[4] المرجع نفسه، ص 639/644.

2- **رسائل الجزائري:** وهي سلسلة كتيبات سماها بـ "رسائل الجزائري" طبع منها اكثر من 23 رسالة مطبوعة في الإسلام والدعوة نذكر منها: رسالة لا إله إلا الله، الحج المبرور،الصيام، الأخلاق، الدستور الإسلامي، وقد جمعت كلها في مجلد واحد كبير.

3- **عقيدة المؤمن:** يشمل أصول العقيدة الإسلامية ويعتبر جامعا لفروعها في ضوء الكتاب والسنة ومن مميزاته جمعه في إثبات مسائله بين الدليلين العقلي والسمعي بروح عقلية مفهومة.

4- **المرأة المسلمة:** وفيه بيان للتوجيهات والإرشادات التي يجب على المرأة المسلمة تعلمها سواء كانت متعلقة بالعقائد او العبادات او الأخلاق أو المعاملات بأسلوب واضح وسلس ومفهوم.

5- **الدولة الإسلامية:** هو كتاب فيه رسالة من رسائل الدعوة ترسم الصورة الصادقة لما تكون عليه الدولة الإسلامية في عصر الحضارة والتقدم العلمي وتعطي للعالم الإنساني نموذجا للحياة السعيدة الفاضلة التي جاء الإسلام لتحقيقها للناس.

6- **هذا الحبيب مُحَمَّد ﷺ.. يا محب:** يتناول الكتاب سيرة النبي مُحَمَّد ﷺ كما يعرض الأخلاق والآداب المحمدية، متبعا كل مبحث بالنتائج والعبر التي يمكن أن نستقي منه.

7- **كمال الأمة في صلاح عقيدتها:** هذا الكتاب يحوي شرح الآية "ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها".

8-**إلى التصوف ياعباد الله:** أما هذا الكتاب فهو مختصر ينبه المسلم إلى بعض أصول الصوفية ومواطن الخلل فيها ثم يعطيه البديل عن هذه الأصول الخاطئة والأوراد الصوفية بأصول وأوراد من سنة النبي ﷺ.

9-**هؤلاء هم اليهود فاعتبروا يا أولي الأبصار:** يبين هذا الكتاب أن المذاهب الهدّامة المخربة على اختلاف اسمائها هي من وضع اليهود وتصميمهم تحت شعارات غير يهودية وعلى المسلمين أن يتحركوا في اتجاه الإيمان الصادق الباعث على العمل الصالح والعلم المثمر.

10- **نداءات الرحمان لأهل الإيمان:** شرح فيه الآيات "ياأيها الذين آمنوا " في كامل القرآن.

11-**كتاب الدروس الجغرافية:** وقد ألفها لطلاب المدرسة التي كان أحد معلميها في الجزائر.

12- **كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير:** وهو أحد كتب التفاسير للقرآن الكريم في العصر الحاضر، وهو كتاب التفسير للشيخ أبو بكر جابر الجزائري الذي سنتعرف عليه في المطلب التالي.

المطلب الثاني: كتابه أيسر التفاسير

يقول عنه صاحبه الشيخ أبوبكر جابر الجزائري: "رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلوا منه بيت من بيوت المسلمين"[1]، فالشيخ أبو بكر جابر الجزائري أمله أن يكون تفسيره عند كل مسلم ومسلمة بل أنه يكون في جميع بيوت المسلمين، إنه يريد لتفسيره أن يكون عند كل المسلمين رجالا ونساءً وهذا من أجل تعميم الفائدة للجميع فيسعد الجميع في الدنيا والآحرة لأنه يرى أن هذا التفسير حوى هداية آيات الله التي تهدي للتي هي أقوم، قال تعالى﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾[**الإسراء :9**].

وعليه نرى الشيخ ركّز على الفهم حتى يستفيد المسلم من هداية الآيات من أجل ذلك عمل على تيسير تفسيره وجعله تفسيرا واضحا ومفهوما.

فما هو هذا التفسير؟

الفرع الأول: التعريف بالكتاب

أولا: تسمية الكتاب والهدف منه

أ: تسمية الكتاب: فالشيخ أبو بكر سمّى كتابه بأيسر التفاسير وهذا واضح من خلال كلامه إذ يقول :"وأخيرا أطالب كل مؤمن ومؤمنة يقرأ تفسيري هذا المسمّى بـ "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير" أن يستغفر لي ويترحم علي هذا حقّي عليه "[2]، إذن فالاسم الكامل لهذا الكتاب هو كما سمّاه صاحبه "أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير".

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص6.

[2] المرجع نفسه، ص7.

ومن يقرأ في هذا التفسير يجده بالفعل اسما على مُسمّى وهذا ما أقرّ به أهل العلم، قال الدكتور المسعود جمادي[1]: "هو كتاب شامل لتفسير كتاب الله مُيسّراً له ليفهمه عامّة الناس"، كما قال عنه أيضا: "سهولة هذا الكتاب أيسر التفاسير وسلاسته تظهر من عنوانه فبالفعل هو من أيسر التفاسير ينفع المبتدئ ولا يستغني عنه العالِم".[2]

ب:الهدف من الكتاب: وكان الهدف من كتابة هذا التفسير هو تقريب الفهم لجميع الناس حتى يهتدوا بكتاب الله عز وجل وذلك بقراءته ثم فهمه ثم تطبيقه من أجل هذا قام الشيخ أبوبكر جابر بهذا التفسير وجعله واضحا مُيسَّراً وهذا ما اقتضته النهضة الإسلامية الحديثة، قال الشيخ في مقدمة كتابه: "ونظرا لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعيّن وضع تفسير سهل مُيسَّرٍ يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، وبين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم تُبيّن فيه العقيدة السلفية المنجية، والأحكام الشرعية الضرورية، مع تربية ملَكَة التقوى في النفوس، بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل والحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم، مع التجمّل بالأخلاق القرآنية والتحلّي بالآداب الربّانية"[3]، ونراه قد بيّن الأهداف من تأليف هذا التفسير والتي هي:

-وضع تفسير سهل مُيسَّر.

-تُبيّن فيه العقيدة السلفية المنجية والأحكام الشرعية الضرورية.

- تربية ملَكَة التقوى في النفوس.

- الحث على أداء الفرائض واتقاء المحارم.

- التجمّل بالأخلاق القرآنية والتحلّي بالآداب الربّانية.

فالشيخ وضع لنفسه أهدافا يريد أن يحققها من هذا التفسير وهذا ما سنجده واضحا في جهوده في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب العقائدي الذي سنتناوله والذي أشار إليه في قوله: " تُبيّن فيه العقيدة السلفية المنجية "، وهذه هي أهم الجهود التي بذلها الشيخ في هذا الجانب العقدي الذي سينعكس بالإيجاب على النواحي الأخرى كالإلتزام

[1] أستاذ مشارك بقسم العلوم الإسلامية جامعة محمّد بوضياف المسيلة من جامعة محنّد آكلي والحاج، البويرة-الجزائر.

[2] ينظر: المسعود جمادي، مجلة الإحياء، الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر (مقال) ، مرجع سابق، ص644.

[3] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص6.

بتطبيق الأحكام الفقهية أو تربية النفوس على التقوى وبالتالي الإلتزام بآداء الفرائض وترك المحرّمات، وهذا لا يكون إلا إذا كان الجانب العقدي عند المؤمن قويّا.

إذن فليس التأليف من أجل أن يُقال أنه من كبار المفسرين إنما هذا التفسير هو من أجل إصلاح وضع الأمة، ومن هنا نستطيع أن نقول أن شيخنا ألّف تفسيرا إصلاحيا يهدف به إلى تحقيق ما نصّ عنه هو بنفسه.[1]

وكأنّي به بوضع أهداف يريد أن يحققها من تفسيره، هو متأثر بمدرسة التفسير الإصلاحي الذي نادت به مدرسة المنار الإصلاحية التي قال قائدها الثاني مُحَمَّد عبده نقلا عن صاحب كتاب لمحات في علوم القرآن: "كان يُلحّ في تفسيره على أن القرآن الكريم كتاب هداية، يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم وانتظام أمورهم في الدنيا وإلى ما فيه فوزهم ونجاتهم في الآخرة، فعلى الذين يريدون أن يفسروا القرآن أن يولوا هذا الجانب العناية الكبرى ".[2]

وهذا ما نراه اهتم به شيخنا في كتابه أيسر التفاسير حتى قال عنه صاحب كتاب التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: "وقد تفرّد كتاب الشيخ بذكر ما سمّاه هداية الآيات".[3]

ثانيا :دواعي تأليف أيسر التفاسير وزمن تأليفه

أ: دواعي التأليف: إن الدواعي التي أدت بشيخنا إلى إنجاز هذا التفسير هي دواعي داخلية وخارجية:

– فالداخلية كان الشيخ مهتما بأمر المسلمين وقضى حياته من أجل دعوة الناس إلى الخير فهو من كبار علماء الإصلاح في العالم الإسلامي وكان له استعداد كبير من أجل القيام بهذه المهمة وهذا ما يُفهم من كلامه في مقدّمته بل أنّه كان يراه واجبا لا بدّ منه نظرا لحاجة المسلمين إليه: "ونظرا لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعيّن وضع تفسير سهل مُيسّرٍ يجمع بين المعنى المراد من كلام الله، بين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم تُبيّن فيه العقيدة السلفية المنجية والأحكام

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص6.

[2] ينظر: مُحَمَّد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ص317،

[3] مُحَمَّد بن رزق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب افريقيا، مرجع سابق، ج2، ص802.

الفقهية الضرورية مع تربية التقوى في النفوس، بتحبيب الفضائل وتبغيض الرذائل، والحث على آداء الفرائض واتقاء المحارم، مع التجمّل بالأخلاق القرآنية والتحلّي بالآداب الربّانية" وقال: "وقد هممت بالقيام بهذا المتعيّن في ظرف سنوات".[1]

– وأما عن الدواعي الخارجية فتمثلت في حث الناس وطلبهم منه أن يؤلف لهم تفسيرا يواكب العصر وهذا سواء من الناس عامة أو من بعض أهل العلم وهو ما قاله بنفسه: "وكثيرا ما يُطلب مني مُستمعوا دروسي في التفسير في المسجد النبوي أن لو وضعتَ تفسيرا للمسلمين سهل العبارة قريب الإشارة يساعد على فهم كلام الله تعالى...وشاء الله تعالى أن أجلس في أواخر شهر محرم عام 1406هـ إلى فضيلة الدكتور عبد الله بن صالح العُبيد رئيس الجامعة الإسلامية ويُلهم أن يقول لي: لو أنك وضعت تفسيرا على غرار الجلالين يحلّ محلّه في المعاهد ودور الحديث تلتزم فيه العقيدة السلفية التي خلا منها تفسير الجلالين فضرّ كثيرا بقدر ما نفع".[2]

ب: زمن التأليف: وأما عن الزمن الذي قام فيه بتأليف هذا التفسير هو سنة 1406هـ في أواخر شهر محرم وذلك لما التقى بعبد الله بن صالح رئيس الجامعة الإسلامية.

وفي أوائل رجب من العام نفسه 1406هـ تمّ تأليف المجلد الأول الحاوي لثلث القرآن الكريم، وفي أول رمضان كان المجلّد الأول قد طُبع والحمد لله كما قال الشيخ.[3]

علما أنه شرع فيه في أواخر محرم من سنة 1406هـ وأتمّ تأليفه تماما في سنة 1407هـ وذلك يوم السبت من الثالث والعشرين من محرم بالروضة النبوية الشريفة.[4]

ثالثا: مصادر أيسر التفاسير:

إن مصادر تفسير أيسر التفاسير للشيخ أبي بكر جابر الجزائري كانت أربعة تفاسير ذكرها في كتابه وهذا في خاتمة مقدمته في الهامش بذكر كلمة تنبيه: "مراجع هذا التفسير أربعة وهي جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري، تفسير الجلالين المحلّي والسيوطي، تفسير

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص6.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

[4] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج2، ص1798.

المراغي، تيسير الكريم الرحمان لعبد الرحمان بن ناصر السعدي رحمهم الله أجمعين وجمعنا معهم في جنات النعيم".[1]

وهذا وإن الشيخ ليرجّح ما رجّحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الأية، وقد لا يأخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية.[2]

وهذا ما يشير إلى التحرر وعدم التقليد إنما يرجح ما رجّحه ابن جرير فيما إذا كان مناسبا حسب الحالة، وهذا ما سنراه حينما نتعرض إلى مطلب التفسير الإصلاحي خصائصه وبعض أعلامه.

الفرع الثاني :قيمة أيسر التفاسير:

إن أيسر التفاسير هو من التفاسير التي نصح بها أهل العلم وخاصة للمبتدئين وعامة المسلمين وهذا ما أراده صاحبه بقوله :"رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلو منه بيت من بيوت المسلمين"[3]، فكان له ذلك وأثنى عليه أهل العلم، قال فيه صاحب كتاب "المفسرون حياتهم ومنهجهم": "كان المفسّر ملتزما بما قاله في منهج التفسير وهو تفسير إرشادي تربوي مطابق لعقائد أهل السنة والجماعة ملبّيا حاجة المسلم في فهم كتاب الله العزيز"[4]، كما قال فيه أيضا: "تفسير موجز لكتاب الله تعالى الذي ألفه الواعظ الجزائري، تلبية لحاجة المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله وسبيل هدايتهم وعصمتهم من الأهواء وشفاءهم من الأدواء، على غرار تفسير الجلالين بحيث يحل محلّه في المعاهد ودور الحديث، ملتزما فيه العقيدة السلفية التي خلا منها تفسير الجلالين، ببيان اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم، مع رعاية البعد التربوي".[5]

---

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص7.

[2] المرجع نفسه، ص6.

[3] المرجع نفسه.

[4] مُحَمَّد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، ص172.

[5] المرجع نفسه، ص170.

أولا: صحة نسبة كتاب أيسر التفاسير إلى الشيخ أبي بكر جابر الجزائري

فصحّة نسبة كتاب أيسر التفاسير إلى الشيخ أبي بكر جابر الجزائري تُؤخذ من كلامه في قوله: "وأخيرا أطالب كل مؤمن ومؤمنة يقرأ تفسيري هذا المسمّى بأيسر التفاسير لكلام الله العلي الكبير أن يستغفر لي ويترحّم علي هذا حقّي عليه".[1]

وهذا أكبر دليل يثبت صحة كتاب أيسر التفاسير إلى شيخنا، كما أنه ختم كلامه أخيرا في مقدمته بقوله: "وكتبه الراجي عفو ربه ورضوانه أبوبكر جابر الجزائري المدينة المنورة 17 رمضان 1406هـ".[2]

وهذا يزيد تأكيدا على نسبة هذا التفسير إليه.

ثانيا :مكانة أيسر الفاسير: فماهي مكانة أيسر التفاسير؟

يكفيه أنه تفسير لكلام الله العلي الكبير ومن هنا كانت مكانته وقيمته وزيادة على ذلك فإن صاحبه حمل لواء الإصلاح من أجل إصلاح ما أفسده الناس في دين الله.

إن شيخنا كانت له نية صادقة على أن يكون تفسيره لكل مسلم ومسلمة لا يخلُ منه بيت من بيوت المسلمين وقد هيّأ الظرف المواتي لذلك وهو بتسهيله وتيسيره حتى يُقبل على قراءته ودراسته ليحقق ما يصبُو إليه شيخنا بعد الدراسة والفهم، وهو التطبيق والعمل لما جاء فيه وأن يكون لا همّ لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقا وأدبا وقضاء وحكما، وليس غريبا أن نرى أهل العلم يشيدون بقيمة هذا التفسير وصاحبه مما يدلّ على مكانة صاحبه وبقيمة تفسيره.

فهذا الأستاذ الدكتور عبد الله عثمان علي المنصوري في مقاله بعنوان "المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري" يشيد بجهود الشيخ أبي بكر قائلا: "وقد أبدع وأمتع في تفسير كتاب الله تعالى واختصاره وتقريب معانيه؛ ليفهمه الناس ويعملوا به فيسعدوا في الدارين، وعند مطالعاتي المتكررة في هذا التفسير المبارك

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق ، ج1، ص7.

[2] المرجع نفسه.

وجدت مُؤلفه يعني ببيان هدايات القرآن الكريم في نهاية كل مقطع يفسره، وهي سمة يكاد ينفرد بها ".[1]

وبالفعل فإن شيخنا يكاد يتفرّد تفسيره بسمة هداية الآيات وهي السمة التي جعلها عنصرا من عناصر تفسيره بقوله في كل مرة من نهاية تفسيره للآية أو الآيتين أو الآيات "هداية الآيات"؛ وهذا لم نجده في التفاسير الأخرى.

ويؤيد ما ذهب إليه الأستاذ الدكتور عبد الله عثمان علي المنصوري صاحب كتاب التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا بقوله: "وقد تفرّد كتاب الشيخ بذكر ما سمّاه هداية الآيات"[2]، وقد وصفه أيضا الدكتور المسعود جمادي بقوله: "سهولة هذا الكتاب، وسلاسته تظهر من عنوانه فبالفعل هو أيسر التفاسير ينفع المبتدئ ولا يستغني عنه العالِم".[3]

فأيسر التفاسير حظي بمكانة عند أهل العلم وعند الناس أجمعين، ولكن هناك من يوجه له بعض التنبيهات وليس من باب التقليل من قيمته وإنما لتتم الفائدة وهذا في الطبعة الأولى الصادرة في 1407هـ مازال حين ذاك حديث النشر كان ذلك من طرف الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الرومي الذي قال: "فإن كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ الفاضل أبي بكر جابر الجزائري متّعه الله بالصحة والعافية، من الكتب النافعة المشتهرة وقد ظهر لي عليه بعض التنبيهات فأردت وضعها بين يدي القارئ لتتم الفائدة علما أن النسخة التي لدي هي النسخة الأولى الصادرة عام 1407هـ".[4]

وهناك انتقاضات أخرى وُجهت لتفسير أيسر التفاسير لم يسع الوقت للخوض فيها إلا أن هذا التفسير يبقى له مكانة عظيمة بين التفاسير بل إنه من أعظم التفاسير في الإتجاه

---

[1] عبد الله عثمان علي المنصوري، المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري(مقال)، ص133.

[2] مُحَمَّد بن رزق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب افريقيا، مرجع سابق، ج2، ص802.

[3] المسعود جمادي، مجلة الإحياء، الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر (مقال) ، مرجع سابق، ص659.

[4] عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الرومي، نظرات في كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، ص5.

الإصلاحي في وقتنا الحاضر، وشيخنا أبو بكر يُعتبر من كبار العلماء في الدعوة والإصلاح الذي كان لهم الأثر الكبير في هداية كثير من الناس حول العالم.

ثالثا : مؤلفات على أيسر التفاسير

فكتاب أيسر التفاسير ما زال لم يُحظ بالدراسات اللائقة بمقامه، وحسب ما بحثت فإني اطلعت على أن هناك: رسالة دكتوراه في جامعة افريقيا بالسودان بعنوان"الشيخ أبو بكر الجزائري ومنهجه في التفسير من خلال كتابه أيسر التفاسير وهامشه نهر الخير"، ولم أجد هذه الرسالة وإنما حصلت على مخطط البحث لها والتي مُنح صاحبها درجة الدكتراه في التفسير بتاريخ 1433/3/1هـ الموافق ل 2012/01/24، وهو الدكتور الوليد صديق خالد أبو بكر[1]، وكان هيكل البحث فيها يتكون باختصار من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

الباب الأول هو: التعريف بشخصية المؤلف الشيخ أبو بكر الجزائري، وفيه فصلان، الفصل الأول التعريف بشخصية المؤلف، الفصل الثاني الحياة العلمية للمؤلف.

الباب الثاني: التعريف بكتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه نهر الخير، وفيه فصلان، الفصل الأول التعريف بأيسر التفاسير، الفصل الثاني إضافات هامش التفسير والمسمّى بنهر الخير.

الباب الثالث: منهج المؤلف في تفسيره، الفصل الأول إعتماده على التفسير بالمأثور واهتماماته الموضوعية، الفصل الثاني معالجة لبعض الموضوعات والقضايا المعاصرة.

وخاتمة إشتملت على ملخص البحث.[2]

يبدو أن هذه الدراسة في هذه الرسالة في شأن الشيخ أبي بكر وكتابه أيسر التفاسير ومنهجه كانت جد مفيدة حسب هذه العناصر لخطة البحث لكن للأسف أنني لم أحصل

[1] المسعود جمادي، مجلة الإحياء، الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر (مقال) ، مرجع سابق، ص638.

[2] هذا مخطط للبحث الخاص بمنهج الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في التفسير أرسله إلي الأستاذ الدكتور دفرور رابح جامعة أدرار.

عليها فحرمت من الإستفادة منها في بحثي هذا وآمل أن تُطبع هذه الرسالة حتى يستفيد منها طلبة العلم.

وصدر كتاب قبل هذه الرسالة بعنوان: " نظرات في كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر جابر الجزائري" ألفه الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الرومي(1364هـ/1421هـ)، والذي أحصى فيه المؤلف مائة وخمسة وثمانين تنبيها وقع فيها الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في تفسيره وهذا على حد قول الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الرومي في مقدمة كتابه، فهو حسب كلامه من أجل إتمام الفائدة وهذا حصل للطبعة سنة 1407هـ.[1]

وهناك مقال للأستاذ الدكتور عبد الله عثمان علي منصور في جزء قد سمع من خلال أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري،[2] وجاء في مقدمة المقال تنويها يليق بمقام العلامة الشيخ المفسِّر أبوبكر الجزائري: "وقد أبدع وأمتع في تفسير كتاب الله واختصاره، وتقريب معانيه؛ ليفهمه الناس ويعملوا به فيسعدوا في الدارين وعند مطالعاتي المتكررة في هذا التفسير المبارك وجدت مؤلفه يعني ببيان هدايات القرآن الكريم، في نهاية كل مقطع يفسره، وهي سمة يكاد ينفرد بها".[3]

وهناك كتاب كلمات القرآن من كتاب أيسر التفاسير للجزائري جمع وترتيب أبي ذر القلموني، دار ابن حزم القاهرة طبعة 1430هـ 2009م، وبين صاحب هذا الكتاب دواعي تأليفه ومنهجه الذي سلكه فيه بقوله:"يرجع الفضل في جمع هذا الكتاب لله وحده، ثم لمحبتي في الله الشيخ أبا بكر الجزائري".[4]

---

[1] ينظر: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الرومي، نظرات في كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، مرجع سابق، ص6/5 إلى 207.

[2] عبد الله عثمان علي المنصوري، المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، مرجع سابق، ص133.

[3] المرجع نفسه، ص133.

[4] المسعود جمادي، مجلة الإحياء، الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر (مقال)، مرجع سابق، ص639.

فهل من مزيد لدراسة كتاب أيسر التفاسير من طرف علمائنا المختصين لإخراج ما فيه من فوائد وكنوز ينتفع بها طلبة العلم والناس أجمعين؟

وذلك أيضا من أجل تجلية قيمة هذا التفسير وإظهار مكانته اللائقة بمقامه ومقام صاحبه.

الفرع الثالث: طبعات أيسر التفاسير ومنهجه

ونظرا لقيمة وأهمية هذا التفسير الإصلاحي فإنه أُهتمّ بطبعه ودراسة منهجه وكما رأينا من خلال حكم أهل العلم أنه تفسير إصلاحي سمّاه صاحبه بأيسر التفاسير ربما من أجل ذلك شاع وانتشر في العالم وطُبع منه طبعات كثيرة.

أولا: طبعات كتاب أيسر التفاسير

إنه تفسير وجب على المسلمين أن يهتموا به ويُكثروا من طبعه، في ذلك أجر عند الله لأنه تبليغ رسالة الإسلام، فماهي طبعات أيسر التفاسير؟

من خلال ما بحثت يبدوا أنه هناك اهتمام بطبع كتاب أيسر التفاسير ونرجوا ألا يكون من أجل التجارة بل من أجل تعميم الفائدة، وتعدد الطبعات يُنبئ على أن هناك إقبال على هذا التفسير الذي هو مفيد بالفعل وخاصة لعامة الناس لأنه سهل ومُيسّر ومُفيد، والطبعات التي عرفتها لكتاب أيسر التفاسير للشيخ أبي بكر جابر الجزائري هي:

1- الطبعة الأولى الجديدة لسنة 1423هـ/2002م، لمكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، هي طبعة مزيدة مصحّحة ومنقّحة، وبهامشها نهر الخير على أيسر التفاسير ناشرها هي مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة المملكة العربية السعودية،[1] هذه الطبعة في مجلدين اثنين، المجلد الأول يبدأ من الصفحة 1 إلى صفحة 894، وهو يمثل الجزء الأول، والمجلد الثاني للجزء الثاني يبدأ من الصفحة 895 إلى الصفحة 1802.

2- طبعة الأولى صدرت في 1416هـ/1995م لأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير، تأليف أبو بكر جابر الجزائري الواعظ بالمسجد النبوي الشريف،

[1] طبعة إعتمدتها في البحث، إستلفتها من جمعية العلماء المسلمين شعبة تقرت.

الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، توزيع دار الكتب العلمية لبنان[1]، لم يُذكر عدد الأجزاء أو المجلدات لهذه الطبعة.

3- الطبعة الثانية صدرت سنة 1987م، الناشر دار السلام القاهرة مصر، وهي طبعة منقّحة.[2]

4- الطبعة الثانية صدرت سنة 2013م، الناشر المكتبة التوفيقية القاهرة-مصر، تحوي هذه الطبعة على مجلدين، المجلد الأول من سورة الفاتحة إلى سورة يونس، والمجلد الثاني من سورة هود إلى سورة الناس.[3]

5- الطبعة الثالثة لأيسر التفاسير وبهامشها نهر الخير، صدرت سنة 1410هـ/1990م، تحوي على خمسة مجلدات.[4]

6- الطبعة الرابعة صدرت بتاريخ 1412هـ/1992م بالقاهرة، دار السلام للطباعة النشر، وهي طبعة خاصة بمصر وفلسطين والمغرب العربي، تحوي على خمس مجلدات، بإشراف راسم للدعاية والإعلان في جدة.[5]

7- الطبعة الرابعة، صدرت بتاريخ 1423هـ/2002م، الناشر دار ابن الهيثم، بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، تحوي هذه الطبعة على خمس مجلدات، طبعة مزيدة ومصححة ومنقحة وبهامشها نهر الخير.[6]

---

[1] المسعود جمادي، مجلة الإحياء، الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر (مقال)، مرجع سابق، ص650.

[2] تحصلت على هذه المعلومات من موقع الكتروني يوم 2020/08/18.

[3] إطلعت على هذه الطبعة بمكتبة جمعية العلماء المسلمين شعبة تقرت.

[4] لم يذكر اسم صاحبه، أخذته يوم: 2020/08/14م، في الساعة: 13:33، من موقع "المكتبة الشاملة"، على الشبكة العنكبوتية، من الصفحة الآتية:

https://shamela.ws

[5] مُحَمَّد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، مرجع سابق ، ص166.

[6] إطلعت على هذه الطبعة بمكتبة البركة بمدينة توقرت.

8- الطبعة الخامسة صدرت سنة 1424هـ 2003م، الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة المملكة العربية السعودية، تحوي على خمس أجزاء، طبعة مذيّلة بحاشية نهر الخير.[1]

9- ولي نسخة من كتاب أيسر التفاسير نُشرت سنة 1431هـ 2010م، الناشر مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، لم يُذكر فيها رقم الطبعة، وبأسفل الصفحة الأولى كُتب عليها المكتبة العصرية صيدة بيروت.[2]

وخلاصة القول في نشر الكتاب وطبعه أنه نُشر وطُبع بعدّة طبعات.

وتم الإنتهاء من تأليفه ليلة السبت 23 من شهر محرم سنة 1407هـ بالروضة النبوية الشريفة بالمسجد النبوي الشريف.[3]

أما نهر الخير فقد تم الإنتهاء منه بين العشاءين من ليلة السبت لعيد الفطر المبارك لسنة 1409هـ.[4]

وهذا ما يدل على الاهتمام بهذا التفسير حتى طُبع منه عدة طبعات، ندعوا الله أن يُزاد في طبعه ونشره حول العالم حتى تعمّ الفائدة على أوسع نطاق.

ثانيا: منهج الشيخ في كتابه أيسر التفاسير

وقبل أن نتناول المنهج الذي انتهجه الشيخ في تفسيره نشير إلى مفهوم المنهج.

المنهج لغة: من نَهَجَ، والمنهج والمنهاج :الخطة المرسومة، والمنهاج :الطريق الواضح، وفي التنزيل﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾[**المائدة :48**].[5]

---

[1] لم يذكر اسم صاحبه، أخذته يوم: 2020/08/15م، في الساعة: 13:33، من موقع "المكتبة الشاملة"، على الشبكة العنكبوتية، من الصفحة الآتية:

al-maktaba.org

[2] نسخة إشتريتها من مكتبة البركة لمدينة تقرت.

[3] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق ، ج2، ص1798.

[4] المرجع نفسه، ص1799.

[5] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، ص957.

أ: المنهج العام لأيسر التفاسير:

فما هي الخطة العامة المرسومة التي سار عليها الشيخ أبو بكر في تفسيره؟

فالشيخ كشف عن خطته بنفسه في تفسيره، وبما أن أصحاب التفسير الإصلاحي يدعون إلى السهولة والوضوح حتى يفهم الناس تفسيرهم، وكذلك خطة الشيخ في تفسيره هي واضحة أعلنها وسجلها هو بنفسه في هذا التفسير، وهي تُفصح عن منهجه بجلاء فقال رحمه الله :"هذا وإن مميزات هذا التفسير التي بها رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلوا منه بيت من بيوت المسلمين هي: الوسطية بين اختصار مُخل والتطويل الممل، إتباع منهج السلف في العقائد والأسماء والصفات، الإلتزام بعدم الخروج عن المذاهب الأربعة في الأحكام الفقهية، إخلاءه من الإسرائيليات صحيحها وسقيمها إلا ما لا بدّ منه لفهم الآية الكريمة وكان مما تجوز روايته لحديث..وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، إغفال الخلافات التفسيرية، الإلتزام بما رجّحه ابن جرير الطبري في تفسيره عند اختلاف المفسرين في معنى الآية، وقد لا آخذ برأيه في بعض التوجيهات للآية، إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغة والشواهد العربية، عدم التعرض للقراءات إلا نادرا جدا للضرورة حيث يتوقف معنى الآية على ذلك. وبالنسبة للأحاديث فقد اقتصرت على الصحيح والحسن منها دون غيرهما ولذا لم أعزها إلى مصادرها إلا نادرا، خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال و إن كثرت والإلتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين من السلف الصالح، حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر إسلامي موحّد صائب سليم ".[1]

وكان قصد الشيخ من هذه الخطة هو تسهيل تناول كتاب الله دراسة وتطبيقا وعملا للمسلمين الذين لا همّ لهم إلا مرضاة الله وفهم كلامه والعمل به، والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقا وأدبا وقضاء وحكما، كما أنه أخلاه من كل مُعوّقات تسبب عدم الفهم وتُشرد الذهن أو تصرف عن لعمل إلى القول والجدل، من أجل كل ذلك جعل ما كتبه دروسا منظمة منسّقة فيجعل الآية الواحدة درسا فيشرح كلماتها، ثم يبين معناها، ثم يذكر هدايتها المقصودة منها

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق ، ج1، ص7.

للإعتقاد والعمل[1]، وهذا ما انفرد به في تفسيره عن غيره كما يقول صاحب كتاب التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا[2]، وهذه ميزة تميزت بها معظم التفاسير في الاتجاه الإصلاحي وهي إبراز الغرض الهدائي أو ما يسمى بهداية الآيات في القرآن الكريم، إلا أنها كانت جد واضحة في تفسير شيخنا أبي بكر وذلك بإفراد عنصر من عناصر درسه في تفسير آيات القرآن الكريم ويجعل الآيتين درسا، والثلاث آيات والأربع والخمس ولا يزيد عن الخمس إلا نادرا وهذا لتحقيق ما يُسمى وحدة الموضوع بين هذه الآيات، وهذه كذلك من مميزات التفسير الإصلاحي عبّر عنها الشيخ بقوله: "وذلك طلبا لوحدة الموضوع وارتباط المعنى به".[3]

كما أنه كان دقيقا وحريصا على وصول المعلومات صحيحة حتى يسهل على المتلقّي القراءة الصحيحة التي تساعده على الفهم الصحيح لهذا كان يَشكل الآيات على قراءة حفص وبخط المصحف طالبا من القارئ أن يقرأها أولا حتى يحفظها فإذا حفظها درس كلماتها ليفهمها ولا يكتفي بذلك بل يدرس معانيها إلى أن يعيها ثم يقرأ هدايتها للعمل بها، كل ذلك من أجل التطبيق وإذا التزم بذلك فإنه يصل إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

ومن أجل استكمال الفائدة أضاف لتفسيه أيسر التفاسير حاشية سمّاها بنهر الخير وهذا استجابة لما يرغب فيه طلاب العلم.

وهذه الحاشية هي عبارة على تعليق على أيسر التفاسير حوت على شواهد في اللغة إذا لزم الأمر، أو بيان، أو أثر جميل أو مستند حديث جليل، أو كشف عن وجه لآية ذات وجوه أو الوقوف على سرّ من أسرار القرآن أو عجيبة من عجائبه التي لا تنقضي بمرور الزمان ولا تنتهي بتعاقب الملوان، وأهم من ذلك تصويب رأي أو تصحيح خطإ وقع في التفسير مع إزالة إبهام أو إضافة بعض الأحكام.[4]

ويجدر بالإشارة أنه لما أضاف حاشية نهر الخير لتفسيره أيسر التفاسير لم يكتف بالمصادر التي اعتمدها في تأليف كتابه أيسر التفاسير بل أضاف بعض المصادر التي اعتمد

---

[1] المرجع نفسه.

[2] مُحَمَّد بن رزق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب افريقيا، مرجع سابق،ج2، ص802.

[3] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص7.

[4] المرجع نفسه، ص9.

عليها في تأليف نهر الخير منها: "تفسير ابن كثير، وتفسير القرطبي، وتفسير التحرير والتنوير..."[1].

ونستطيع أن نقول أن تفسير الشيخ أبي بكر هو تفسير لجميع الفئات سواء المثقّفة أو غير المثقّفة، فأيسر التفاسير بدون الحاشية هو للمبتدئين والعامة، أيسر التفسير مع نهر الخير هو لطلبة العلم وغيرهم، فهو تفسير كما قال عنه الشيخ: "رجوت أن يكون تفسير كل مسلم ومسلمة لا يخلوا منه بيت من بيوت المسلمين"[2]، إنه كذلك بالفعل لأنه تميز بميزات قلّ ما نجدها في غيره.

فاللهم تقبل من شيخنا واغفر لنا وله يا أرحم الراحمين.

ب: منهج الشيخ في كتابه أيسر التفاسير بشيئ من التفصيل

وحسب ما ورد في كتاب التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا[3]هو كالتالي:

أولا: أسماء السور وعدد الآيات وبيان المناسبات:

فيذكر شيخنا أسماء السور، مكية أو مدنية وعدد آياتها، فمثلا في سورة الفاتحة يبدأ كلامه قائلا: "سورة الفاتحة وهي مكية وآياتها سبع".

ثانيا: موقفه من العقيدة:

يؤمن بالعقيدة السلفية وهذا واضح من خلال مقدمة تفسيره[4]، فنراه في الآية السادسة من سورة البقرة يقرر عقيدة السلف في القدر في قوله عز وجل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[**البقرة :6**]، فقال في نهر الخير: "قد يُقال ما دام قد علم الله تعالى أن بعضا لا يؤمنون فلم يُنذرون إذ إنذارهم مع العلم بأنه لا ينفعهم تكليف بالمحال؟، والجواب أن دعوة النبي ﷺ لكل أحد، وهو ﷺ لم يعلم من كتب الله عليه الشقاء ممن

[1] مُحَمَّد بن رزق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب افريقيا، مرجع سابق، ج2، ص788/787.

[2] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص6.

[3] ينظر مُحَمَّد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون غرب افريقيا، مرجع سابق، ج2، 803/788.

[4] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص6/5.

كتب له السعادة؛ فلذا فهو يدعوا وينذر ومن كان من أهل السعادة أجاب الدعوة، ومن لم يكن من أهلها رفضها ولم يجب".[1]

ثالثا: موقفه من تفسير القرآن بالقرآن:

إنه لا يُكثر من ذلك وإذا تعرّض له يذكره في الحاشية، وعلى سبيل المثال قوله تعالى﴿ **الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾[**الفاتحة :7**]، هم النبيئون والصديقون والشهداء والصالحون، ثم قال في الحاشية: "ورد هذا البيان في قوله تعالى من سورة النساء﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا**﴾[**النساء :69**]".

رابعا: موقفه من تفسير القرآن بالسنة:

إنه لا يذكر الأحاديث كثيرا وإذا ذكرها يذكرها في الحاشية ومثل ذلك في صلب الكتاب وفي الحديث: "الدعاء هو العبادة"، ثم ذكر في الحاشية قوله: "رواه أصحاب السنن وصححه الترمذي عن النعمان ابن بشير ﷺ"[2]، وفي موضع آخر يقول عند قوله تعالى: ﴿..**بَل اَحْيَاءٌ وّلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ**﴾[**البقرة :154**]، أما الآية فقذ تضمّنت نهيه تعالى لهم أن يكونوا معتقدين إن من قُتل في سبيل الله ميّت إذ هو حي في البرزخ وليس ميت، بل هو حي يُرزق في الجنة، كما قال رسول الله ﷺ :"أرواح الشهداء في حواصل طيور خُضر تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى قناديل معلّقة تحت العرش"رواه مسلم.[3]

-**أسباب النزول:** إنه يُكثر من ذكر أسباب النزول في الأصل والحاشية، ومن ذلك قوله في نهر الخير: "ذكر إبن كثير في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً..**﴾[**البقرة :80**]، أن عكرمة قال: خاصمت اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: لن ندخل النار إلا أربعين ليلة، وسيخلفنا فيها آخرون، يعنون مُحَمَّد ﷺ وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ

[1] المرجع نفسه، ص18.

[2] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص14.

[3] المرجع نفسه ، ص75.

بيده على رؤوسهم: بل أنتم خالدون لا يخلفنّكم فيها أحد، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً..**﴾[**البقرة :80**]".[1]

-**فضائل السور والآيات:** فإنه يتعرض لها كذلك في نهر الخير، مثل لقوله: "الحمد لله أعظم سورة في القرآن لحديث البخاري، عن أبي سعيد بن المعلّى أن النبي ﷺ قال له: لأعلّمنّك أعظم سورة في القرآن"، وقوله: "ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها".[2]

خامسا: موقفه من تفسير القرآن بمنهج السلف:

نرى الشيخ أبو بكر لا ينسب شيئا من الأقوال للمفسرين من السلف في تفسيره ولكنه في نهر الخير يفعل ذلك تارة، وذلك مثل قوله: "قال رجل لأبن عباس ﷺ: إنا نصيب في العمد من أموال أهل الذمة الدجاجة والشاة ونقول : ليس علينا في ذلك بأس، فقال له :هذا كما قال أهل الكتاب، لقوله تعالى: ﴿**.لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ.**﴾[**آل عمران :75**].[3]

سادسا: موقفه من السيرة والتاريخ وذكر الغزوات:

نرى الشيخ يتعرض للسيرة المتعلقة بذكر الغزوات مثل غزوة بدر وتابوك والأحزاب.. وغيرها، ومثالا على ذلك قوله تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[**التوبة:102**][4]، وعند قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ** ﴾[**التوبة:117**]، ذكر قصة توبة كعب بن مالك ومن معه باختصار.[5]

سابعا: موقفه من الإسرائيليات:

كان واضحا في مقدمة تفسيره ولكنه لم يلتزمه بعض الأحيان، وذكر منها طرفا في الحاشية وعلى سبيل المثال قوله: "قال تعالى: ﴿**إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي**

[1] المرجع نفسه، ص45.
[2] المرجع السابق، ص12.
[3] المرجع نفسه، ص183.
[4] المرجع نفسه، ص578.
[5] المرجع نفسه ص585.

سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُم إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[البقرة:246]، والقرآن لم يذكر من هو هذا النبي، قال: هو شمويل لبن بابل ابن علقمة هكذا ذكره القرطبي في تفسيره، ويُقال فيه شمعون أيضا، ويُعرف بابن العجوز بأن أمه كانت عجوزا فسألت الله الولد فوهبها إياه بعد عُقم وكبر سن".

ثامنا: موقفه من اللغة:

نرى الشيخ يهتم بشرح المفردات للسورة وذلك في كل مجموعة من الآيات من غير تعرّض لشواهد شعرية ثم يبين في حاشية كتابه إشتقاق الكلمة ويسوق بعض الشواهد الشعرية، مثل قوله: "السورة قطعة من كتاب الله تشتمل على ثلاث آيات فأكثر"، ثم يقول في الحاشية لفظ السورة مشتق إما من سور البلد لارتفاعه وعلو شأنه أو من سور الشراب وهي البقية إذ هي البقية من كتاب الله تعالى أي : قطعة منه، وكونها مُشتقّة من الرفعة وعلو الشأن أولى ويشهد لذلك قول الشاعر النابغة الذبياني:

ألم ترى أنّ الله أعطاك سورة *** ترى كل ملك دونها يتذبذب[1]

تاسعا: موقفه من القراءات:

إعتمد الشيخ قراءة حفص كما ذكر في مقدمة كتابه، وقد يذكر تارة شيئا من القراءات في نهر الخير، مثل قوله: "قرأ حفص: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾[**الفاتحة:4**]، باسم الفاعل، وقرأ نافع: ﴿ **مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾، بدون ألف وهما قراءتان سبعيتان، والله حقا هو الملك المالك".[2]

عاشرا: موقفه من الفقه والأصول:

ونراه يتعرّض كذلك لبعض الأحكام الفقهية مثل قوله: "حكم الإستعاذة: يسن لكل من يريد قراءة شيئ من القرآن سورة فأكثر أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ "، فيستدلّ على ذلك بالدليل في نهر الخير فيقول: "لقوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[**النحل:98**]" ، كما نراه يستدلّ عن حكم البسملة في

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص11.

[2] المرجع نفسه، ص13.

قوله:"مشروع للعبد مطلوب منه أن يُبسمل عند قراءة كل سورة من كتاب الله، إلا عند قراءة سورة التوبة فإنه لا يُبسمل وإن كان في الصلاة المفروضة يُبسمل سرّا إن كانت الصلاة جهرية"،[1] وحينما نتتبّع تفسيره نراه يبسط في الآيات التي فيها أحكام شرعية، وهذا يرجع لطبيعة الشيخ أنه متأثّر بالفقه بل إنه من علماء الفقه، وارجع إن شئت إلى كتابه "منهاج المسلم" في قسم العبادات والمعاملات.

حادي عشر: موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية:

هناك بعض الإشارة إلا أنها نادرة، يقول عنه صاحب التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا: "لم يظهر لي اهتمام الشيخ بهذا المجال ولعل السبب في ذلك ما اشترطه على نفسه في مقدمة التفسير".[2]

ثاني عشر: موقفه من المواعظ والآداب:

فهذا لب تفسيره لأنه اعتمد فيه على استنباط هداية آيات القرآن من أجل إرشاد الناس وتوجيههم إلى ما فيه خير في دينهم ودنياهم، لذا فهو كما يقول عنه صاحب التفسير والمفسرون في غرب افريقيا: "وقد تفرّد كتاب الشيخ بذكر ما سمّاه هداية الآيات"[3]، وهذا ما سنلمسه عند تطرّقنا لجهود الشيخ في التفسير الإصلاحي من خلال عنصر هداية الآيات في الجانب العقدي.

وخلاصة القول في منهج كتاب أيسر التفاسير، إن الشيخ عموما إلتزم بما قاله عن تفسيره، وبذلك استطاع أن ينجز تفسيرا هو بالفعل إسماً على مُسمّى "أيسر التفاسير"، يُمكن القارئ من الفهم والإستيعاب فيجعله مُلزما بالعمل به إن هو أراد الفوز في الدنيا والآخرة.

وما أجمل ما قاله فيه صاحب كتاب المفسرون حياتهم ومنهجهم :"كان المفسر مُلتزما بما قاله في منهج التفسير، وهو تفسير إرشادي تربوي مطابق لعقيدة أهل السنة والجماعة، ملبّيا حاجة المسلم في فهم كتاب الله العزيز ".[4]

---

[1] ينظر: المرجع السابق، ص12.

[2] مُحَمَّد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون غرب افريقيا، مرجع سابق، ج2، ص802.

[3] المرجع نفسه.

[4] مُحَمَّد علي إيازي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، مرجع سابق، ص172.

إنه إذن تفسير إصلاحي يعتمد على هداية آيات القرآن الكريم من أجل إصلاح وإسعاد البشرية.

فجزاك الله شيخنا أبا بكر كل خير وغفر لنا ولك –كما طلبت منا– وأدخلك فسيح جنانه، وندعوا الله أن يلاقينا عنده في جنة الفردوس مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا، إنه تفسير لجميع المسلمين والمسلمات كما أراده له صاحبه.

- تفرّد فيه صاحبه عن مفسري القرآن ببيان هداية الآيات القرآنية في نهاية كل مقطع قرآني يقوم بتفسيره، وهي سمة لا توجد عند أي مفسر ممن سبقه.
- كان هدفه من ذلك تقريب معاني كتاب الله تعالى إلى أفهام عامة المسلمين وتجلية الأحكام الشرعية لهم ؛ ليعبدوا ربهم باعتقاد الحق بالعمل بما شُرع دون ما أُبتدِع مزكّين نفوسهم بذلك مُكمّلين آدابهم مهذّبين أخلاقهم بما أودع الله جلّ جلاله من مناهج التربية الروحية والأخلاقية والآداب النفسية.[1]

المطلب الثالث: التفسير الإصلاحي خصائصه وأعلامه

إن لظاهرة الإصلاح في العالم الإسلامي بصورة عامّة أسبابا جعلت الإصلاح ضرورة حتمية للنهوض بهذا العالم في مختلف الميادين، وهذه الأسباب تجلت في:

1- واقع الأمة الإسلامية المزري الذي سببه الإستعمار الغربي الذي جثم على صدر الأمة فجعلها تبتعد عن قيمها و مبادئها.

2- النهضة العلمية في العصر الحديث التي جعلت أوروبا تنهض من سباتها وتسيطر على العالم الإسلامي في جميع الميادين المادية والمعنوية، فكان هذا عاملا من عوامل ظهور الإصلاح الذي انطلق من هدي القرآن حتى لا تنحرف الأمّة عن دينها.

3- ظهور علماء مصلحين مجدّدين حز في نفوسهم ما حصل للعالم الإسلامي من تخلف و انحراف و خاصة في الدّين، فنهضوا لإصلاح مجتمعهم إنطلاقا من كتاب الله من خلال تفسير آيات القرآن الكريم لهداية النّاس وإرشادهم في دينهم ودنياهم، وسمّي تفسيرهم بالتّفسير

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص9.

الإصلاحي من أمثال مُحَمَّد عبده ومُحَمَّد رشيد رضا وعبد الحميد بن باديس وشيخنا أبي بكر جابر..، فماهو هذا التفسير الإصلاحي؟

الفرع الأول: مفهوم التفسير الإصلاحي

أولا: تعريف التفسير لغة واصطلاحا

أ-تعريف التفسير لغة: أُخذ معنى التّفسير من الفسْر الذي هو بمعنى الإبانة والكشف والإظهار، جاء في مقاييس اللغة مايلي: فسر: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدلّ على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك الفسر يقال: فسرت الشّيء وفسّرت.[1]

وجاء في معجم ألفاظ القرآن: لفَسَرَ: الفسر إظهار المعنى المعقول، والتفسير قد يُقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها وفيما يختص بالتّأويل، ولهذا يقال تفسير الرؤيا وتأويلها، قال تعالى: ﴿**وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**﴾[**الفرقان :33**]،[2] وجاء في المعجم الوسيط: فَسَرَ الشيء: وضّحه، وفسّر الشيء: وضّحه، وفسّر ءايات القرآن الكريم :شرحها ووضّح ما تنطوي عليه من معاني وأسرار وأحكام.

التفسير :الشّرح والبيان وتفسير القرآن: من العلوم الإسلامية، يُقصد منه توضيح معاني القرآن الكريم وماانطوت عليه آياته من عقائد وأسرار وحكم، وأحكام.[3]

ومن خلال ما رأينا في معنى التفسير حسب علماء اللغة فإن معنى التفسير لا يخرج من معنى الشرح والتوضيح والبيان لما تضمّنه الكلام من المعاني والحكم والأسرار.

ب- **تعريف التفسير إصطلاحا:** أورد الإمام جمال الدين السيوطي في إتقانه تعريفات كثيرة لعلماء هذا الفن نذكر منها:

1- عرّف أبو حيان الأندلسي صاحب البحر المحيط التفسير بما يلي: التفسير علم يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتتمّات لذلك.

---

[1] أبو الحسين أحمد ابن فارس ابن زكرياء،مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص738.

[2] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص394.

[3] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج2، ص688.

2- وعرّف الإمام الزركشي التفسير بمايلي: التفسير علم يُفهم به كتاب الله المنزّل على نبيّه ﷺ وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، قال فقولنا علم جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن وهو علم القراءة، وقولنا ومدلولاته أي مدلولات تلك الألفاظ وهذا متن علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا وأحكامها الإفرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع، وقولنا ومعانيها التي تُحمل حالة التركيب يشمل ما دلالته بالحقيقة وما دلالته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصدّ عن الحمل عليه صادٌّ فيُحمل على غيره وهو المجاز، وقولنا تتمّات لذلك هو مثل معرفة النّسخ وسبب النّزول وقصّة توضح بعض ما أُبهم في القرآن ونحو ذلك، وقال بعضهم التفسير في الإصطلاح علم نزول الآيات شؤونها و أقاصيصها والأسباب النّازلة فيها ثم ترتيب مكّيها ومدنيها ومُحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامّها ومُطلقها ومُقيدها ومُجملها ومُفصّلها وحلالها وحرامها ووعدها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها.[1]

والخلاصة من كل هذه التعريفات الإصطلاحية تعني معنى متقارب وهو أن التفسير هو علم يُعرف بواسطته مفهوم كتاب الله عز وجل، وعرّفه الشيخ عبد العظيم الزرقاني بما يلي: هو علم يُبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية[2]، وبتعريف موجز ودقيق التفسير في الإصطلاح هو بيان معاني القرآن الكريم.[3]

ثانيا :تعريف الإصلاح لغة واصطلاحا

أولى القرآن الكريم الإصلاح أهمية كبيرة إذ عده من الأخلاق والفضائل التي يجب على الداعية المسلم أن يتحلى بها بل أن يدعوا لها ويلتزمها وهذا ما جعل القرآن يذكر كلمة الإصلاح وما تفرع منها أكثر من مائة وسبعين مرّة[4] بأساليب متنوعة سياقات مختلفة ترمي مدلولاتها إلى أن ما يُوصل إلى الكفّ عن المعاصي والذنوب والإبتعاد عن الفساد، أو إلى عمل

[1] ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص174.

[2] عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج2، ص3.

[3] مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار،التحرير في أصول التفسير، ص15.

[4] ينظر: عز الدين رمضاني، الإصلاح في القرآن مفهومه وميادينه ومسالكه(مقال)، ص15.

الطاعات وما يرضي الله ورسوله واتباع الرشاد فهو إصلاح، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ..**﴾[**الأعراف :56**].

فماهو الإصلاح لغة واصطلاحا؟

أ- **الإصلاح لغة:** الإصلاح نقيض الإفساد كما يقول أهل اللغة والبيان جاء في مختار الصحاح ما يلي: "والإصلاح ضدّ الإفساد"[1]، وجاء في معجم مفردات ألفاظ القرآن: "صَلُحَ: الصلاح ضد الفساد وهما مختصّان في أكثر الإستعمال بالأفعال وقوبل في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة، قال تعالى: ﴿..**خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا..**﴾[**التوبة :102**]، وقال تعالى: ﴿ **وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ..**﴾ [**الأعراف :56**]، والصلح يختص بإزالة النفار بين الناس يُقال منه اصطلحوا وتصالحوا، قال تعالى: ﴿ ..**أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا..**﴾ [**النساء :128**]، وقال تعالى: ﴿.. **وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا..**﴾ [**النساء :129**]، وقال تعالى: ﴿.. **فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا..**﴾ [**الحجرات :8**]، وقال تعالى: ﴿.. **فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ..**﴾ [**الحجرات :9**]، وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بحكمه له بالصلاح، قال تعالى: ﴿.. **وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ** ﴾ [**مُحَمَّد :2**]، وقال تعالى: ﴿..**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ..** ﴾ [**الأحزاب :71**]، وقال تعالى: ﴿..**وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي..**﴾ [**الأحقاف :15**]، وقال تعالى: ﴿.. **إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ** ﴾ [**يونس :81**]، أي المفسد يضاد الله في فعله فإنه يفسد والله تعالى يتحرّى في جميع أفعاله الصلاح فهو إذن لا يصلح عمله[2]، وجاء في المعجم الوسيط: " أصلح في عمله أو أمره: أتى بما هو صالح نافع، وأصلح الشيء: أزال فساده، وأصلح بينهما، أو ذات بينهما، أو ما بينهما، أزال ما بينهما من عداوة وشقاق، وفي التنزيل العزيز: ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا..**﴾ [**الحجرات :8**]، وقال تعالى: ﴿ **فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ**

[1] مُحَمَّد ابن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ص367.

[2] الراغب الأصفهاني، المعجم في مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص292.

بِيْنِكُمْ..﴾ [الأنفال :1]، وأصلح الله في ذريته أو ماله: جعلها صالحة، و في التنزيل العزيز﴿.. **وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي..﴾ [الأحقاف :15]**.[1]

والخلاصة من المعنى اللغوي حسب ما جاء في هذه المعاجم أن الإصلاح ضد الإفساد ونقيضه.

ب- الإصلاح اصطلاحا: ويُستنتج مما قيل في التعريف اللغوي للإصلاح ؛ الإصلاح عموما هو نقيض الإفساد.

وفي الإسلام: الإصلاح هو كل ما أدّى إلى طاعة الله وامتثال أوامره واتّمسك بكتابه فهو إصلاح، والمتحلّي به هو من المصلحين، مصداقا لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف :170]**.[2]

وبعد أن عرّفنا معنى التفسير ومعنى الإصلاح يسهل علينا أن نستنبط معنى التفسير الإصلاحي، فالتفسير الإصلاحي هو مركب وصفي من التفسير والإصلاح أي هو تفسير وُصف بالإصلاح فيصبح التفسير الإصلاحي، فماهو التفسير الإصلاحي.

ت- مفهوم التفسير الإصلاحي: هو التفسير الذي يُعتنى فيه باستنباط هداية الآيات للقرآن الكريم من أجل إرشاد النّاس إلى ما فيه سعادتهم، وانتظام أمورهم في الدنيا، وإلى ما فيه فوزهم ونجاتهم في الآخرة.[3]

وهذا القول يؤيده ما قاله الشيخ البشير الإبراهيمي في كلامه عن خصائص تفسير ابن باديس في مقدمة تفسيره مجالس التذكير لكلام الحكيم الخبير: " وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم والإصلاح والتربية والتعليم :وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والإستقامة على طريقته؛ وهو رأي الهداة المصلحين من قبله.[4]

وهذا معناه أن الإصلاح يتمثل في الإهتداء بالقرآن وهذا لا يكون إلا باستنباط هداية آيات القرآن التي ترشد الناس إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم في الدنيا والآخرة، وهو ما قام به من سبق

---

[1] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ص520.

[2] ينظر: عز الدين رمضاني، الإصلاح في القرآن مفهومه وميادينه ومسالكه(مقال)، مرجع سابق، ص19.

[3] ينظر: مُحَمَّد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، ص317.

[4] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير لكلام الحكيم الخبير، ص33/32.

العلّامة ابن باديس وهذا يُفهم من قول الشيخ البشير الإبراهيمي"وهو رأي الهداة المصلحين من قبله" في أن هداية القرآن التي يجب على الناس الرجوع إليها هي وحدها مصدر فلاح المسلمين" أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه –القرآن–والإستقامة على طريقته "، وهذا ما سجله شيخنا أبوبكر جابر ودعا إليه في مقدمته في قوله: "فهذا تفسير موجز لكتاب الله تعالى القرآن الكريم وضعته مراعيا فيه حاجة المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله تعالى الذي هو مصدر شريعتهم وسبيل هدايتهم وهو عصمتهم من الأهواء وشفاءهم من الأدواء قال تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا** ﴾ [**الإسراء :82**]، وقال تعالى: ﴿ ..**قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴾ [**المائدة :15**].[1]

فمفهوم التفسير الإصلاحي عند مُحَمَّد عبده ومُحَمَّد رشيد رضا وعند ابن باديس وعند أبي بكر جابر هو واحد لأنهم يتفقون جميعا على أن هدي القرآن هو وحده السبيل إلى إصلاح الأمة الإسلامية، ومن خلال هذا فإن مفهوم التفسير الإصلاحي هو إيضاح معاني القرآن وما يُستفاد منها قصد إصلاح الخلل الموجود في الأفراد والمجتمعات إنطلاقا من هداية آيات القرآن في جميع الجوانب ابتداءا من الجانب العقدي إلى مُختلف الجوانب الأخرى.

ويُستفاد مما ذُكر :

أولا إيضاح معاني القرآن أي تفسير آيات القرآن أولا بالفهم الصحيح إعتمادا على أهل التفسير المشهود لهم بالإخلاص حتّى تكون دعوة الإصلاح هي دعوة مُنطلقة من القرآن الكريم بعيدة عن كل تحريف لمعانيه.

ثانيا: قولنا قصد إصلاح الخلل في الأفراد والمجتمعات وهذا بيان للهدف من التفسير الإصلاحي فالمفسر المصلح ينطلق من الفهم الصحيح لهداية آيات القرآن من أجل إصلاح كل فساد طرأ على أفراد المجتمع حتى يعودوا إلى جادّة الصواب الذي يريده الله لعباده وهذا ما يثبت صلاحية القرآن لكل مكان وزمان.

ثالثا: وإذا قلنا انطلاقا من هداية آيات القرآن فهذه إشارة إلى المرجعية التي تنطلق منها عملية التغيير من أجل الإصلاح حتّى لا يوهم أي إصلاح آخر خارجي عن كتاب الله لأن

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ص5.

المدّعين للإصلاح كثير بل هناك من يُخضع آيات القرآن لأفكاره البشرية ويزعم أنه يقوم بالإصلاح.

وبعد أن عرِفنا مفهوم التفسير الإصلاحي فما هي خصائص هذا التفسير؟

الفرع الثاني: خصائص التفسير الإصلاحي

لا شكّ أنّ المتتبع للتفسير الإصلاحي يرى أنّ أغلب العلماء فيه يركزون على استنباط هداية الآيات التي ترشد الناس إلى ما فيه خيرهم دنيا وأخرى، إذن فلا شكّ أنه يتميز هذا التفسير بمميزات خاصة بل يعتمد على أسس قد تنعدم في التفاسير الأخرى، فما هي هذه المميزات أو الخصائص؟

حسب الإستقراء في بعض التفاسير لهذا الإتجاه فإن التفسير الإصلاحي يتميز بخصائص كثيرة أهمها ما ذكره الدكتور فهد الرومي في كتابه إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر[1] ومن أهم هذه الخصائص:

أولا: تجلية هداية الآيات

وهو الغرض الأساسي ويُسمى كذلك بالغرض الهِدائي، والقرآن الكريم هو المصدر الأساسي للأمة الإسلامية فهو دستورها وهداية الله لخلقه وشريعته لأهل الأرض جميعا فهو النور الرباني والهدي السماوي ففي القرآن توجيهات في جميع ميادين حياة الإنسان[2] دون أن يغفل عن تذكيره باليوم الآخر فهو كتاب كامل وشامل يشمل جوانب الحياة بأجمعها في العقيدة التي هي الأساس و العبادات التي تُقوّي هذه العقيدة والأخلاق والمعاملات التي هي رمز لهذه العقيدة بل انعكاس لها وفي السياسة والحكم وفي السِّلم والحرب وفي الشؤون الاقتصادية والعلاقات الدولية يشمل كل ذلك بتوجيهات في آيات القرآن المبيّنات، ليس هذا معناه نظريات في الاقتصاد والسياسة وإنما هو توجيهات ربّانية على ضوءها يهتدي الإنسان إلى فعل الخير في كل هذه الجوانب لأنه يهتدي بنور ربه، قال تعالى﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ..**﴾ **[الإسراء :9]**، وقال تعالى: ﴿ **..قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي**

[1] ينظر: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ص718-797.

[2] ينظر: مُحَمَّد الدراجي، محاضرات في علم النفسير ومناهج المفسرين، ص226.

بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة :15-16]، ومن هنا راح أصحاب الإتجاه الهدائي الإصلاحي- التفسير الإصلاحي- يركزون بل يبرزون هذا الغرض الهدائي في تفسيرهم[1] من أمثال الشيخ مُحَمَّد عبدُه والإمام مُحَمَّد رشيد رضا والعلامة عبد الحميد بن باديس والشيخ مُحَمَّد مكّي الناصري والأستاذ سيد قطب وشيخنا أبي بكر الذي نرى تفسيره أيسر التفاسير قد حقق هذا الهدف المهم وهو كما ذكرنا إبراز الغرض الهدائي من أجل أن يفهم الناس ما يأمرهم رب العالمين حتى يهتدوا لما فيه صلاحهم في الدنيا ويسعدهم في الآخرة وهذا ما أشار إليه شيخنا بقوله: "إلتزمت في هذا التفسير بالخطة التي مثلتها هذه المميزات رجاء أن يسهل على المسلمين تناول كتاب الله دراسة وتطبيقا وعملا لا همّ لهم إلا مرضاة الله بفهم كلامه والعمل به والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقا وأدبا وقضاء وحكما".[2]

فبالإهتداء بكتاب الله بعد الفهم لكلامه والعمل به والحياة عليه عقيدة وعبادة وخلقا وأدبا وقضاء وحكما يحوزون على مرضاة الله فيرضيهم الله قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ** ﴾ **[البينة :7-8]**، وهذا ما أراد أصحاب التفسير الإصلاحي أن يحققوه لذا نرى تفاسيرهم تميزت بعنصر الغرض الهدائي فكانت الدعوة صريحة من تلميذ مُحَمَّد عبدُه الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا بقوله: "فالحاجة شديدة إلى تفسير تتوجه العناية الأولى فيه إلى هداية القرآن على الوجه الذي يتفق مع الآيات الكريمة المنزّلة في وصفه، وما أنزل لأجله من الإنذار و التبشير والهداية والإصلاح ".[3]

كما نجد الإمام العلامة عبد الحميد بن باديس ركز على إبراز هذا الغرض في تفسيره الإصلاحي الذي هو من أهم التفاسير في العصر الحديث وهذا من خلال تتبع عناوينه الفرعية

[1] ينظر: مُحَمَّد ابن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن و اتجاهات التفسير، مرجع سابق ، ص308-328.

[2] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ص7.

[3] مُحَمَّد رشيد رضا، تفسير القرآن الكريم، ج1، ص10.

التي يضعها عند تفسيره للآيات القرآنية، مثلا: إهتداء واقتداء، أدب واقتداء، توجيه وإرشاد، موعظة..، وهذه علامة ظاهرة يلاحظها كل من تصفح تفسيره.[1]

إن سيمة هداية الآيات في التفسير الإصلاحي هي من أهم أغراضه لأن القرآن جاء من أجل هداية الإنسان إلى الخير العميم في دنياه وأخراه لذا يجب أن تكون بارزة في هذا النوع من التفسير ومن هنا دعا المصلحون إلى ذلك وقاموا به، وهذا ما فعله شيخنا أبوبكر رحمة الله عليه وسنجده واضحا في ذلك في مبحث جهود الشيخ في التفسير الإصلاحي من خلال عنصر هداية الآيات في الجانب العقدي الذي تناولناه لأنه هو الأهم، فإذا صلُحت عقيدة المؤمن صلح عمله في الدنيا وبالتالي أرضى ربه ففاز في الآخرة ونال رضاه.

ولكن للأسف نجد كثيرا من لا يأبه أن القرآن يجب أن يكون القوة الموجّهة والمحركة والفاعلة المؤثرة، فليعلم هؤلاء أن الغرض الأساسي للقرآن الكريم هو أولا هداية الإنسان إلى الخير العميم في دنياه وآخرته، وتعريفه على كل ما يحقق ذلك، وتحذيره من كل ما يسبب شقاءه وعذابه وخسرانه في الدنيا والآخرة، وتحديده القاطع أن هذا لا يكون إلا في سلوك طريق الله الواضح وصراطه المستقيم.[2]

وهذا ما نراه قام به الشيخ أبوبكر في أثناء استنباطه لهداية الآيات والذي سنجده بالفعل في المبحث الثاني عند تناولنا لهداية الآيات إيضاحا وتحليلا واستنتاجا، وربما يكون الشيخ قد تفرّد تفسيره بذكر ما سمّاه "هداية الآيات" التي يسوق تحتها ما يُستفاد من الآية بأسلوب دراسي وعظي، وهو الغرض الأصلي من تفسيره كما بيّن في المقدمة.[3]

ونخلص من هذا إلى ان إبراز سمة هداية الآيات في التفسير الإصلاحي هي السّمة المميزة لهذا النوع من التفسير وقد أشار إلى ذلك العلّامة عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن" إلى الغرض الهدائي فقال: "وهداية القرآن تمتاز بأنها عامة وتامة وواضحة" كما قال: "والخلاصة هنا أنه يجب على المفَسّر ملاحظة أن القرآن كتاب هداية

---

[1] ينظر: عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص276/278/280/289/ 293/ 299/ 303/320/ 330/332/387.

[2] ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، ص95.

[3] ينظر: مُحَمَّد بن رزق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب افريقيا، مرجع سابق، ج2، ص802.

وإعجاز وأن يجعل هدفه الأعلى ومقصده الأسمى إظهار هداية الله من كلامه وبيان وجوه إعجازه في كتابه لقوله تعالى﴿.. **لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [**الأنفال :42**] ".[1]

إذن فسمة الغرض الهدائي هي العلامة المميزة للتفسير الإصلاحي من غيره.

ثانيا: النزعة العلمية في التفسير

الإهتمام بما ورد في القرآن من إشارات إلى الجانب العلمي أو الإتجاه العلمي في التفسير، وهذا تأثر به العلماء في بداية القرن العشرين الذي تقدمت فيه أوروبا، في التمهيد لهذا المطلب قلنا هناك أسباب دعت إلى التفسير الإصلاحي أي تجديد التفسير حتى لا يقع انحراف وحتى لا ينخدع الناس بما حصل في الغرب لهذا نرى أصحاب التفسير الإصلاحي بدأوا يتكلمون عن الظواهر العلمية ويربطونها بالقرآن وهذا لم يكن مطروحا من قبل، قال مُحَمَّد حسين الذهبي: "حتى جاء عصر النهضة العلمية الحديثة فتجهت أنظار العلماء الذين لهم عناية بدراسة التفسير إلى أن يتحرروا من قيد هذا الركود ويتخلصوا من نطاق هذا الجمود".[2]

والقرآن حقا أنه مليء بالإشارات العلمية بل يحث الإنسان على ذلك يكفي قوله عز وجل: ﴿.. **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ [**فطر :28**]، وقوله عز وجل: ﴿.. **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [**الزمر :9**]، وقوله عز وجل ﴿ **يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ** ﴾ [**الرحمان :33**]، فمثل هذه الآيات وغيرها من الآيات الداعية إلى العلم كان حافزا لعلماء الإصلاح المفسرين للقرءان أن يهتموا بذلك بل يدعون إلى العلم لأنه أساس المعرفة يساعدهم في دعوتهم وهم يواجهون الكثير من الشبهات فيكون لهم سندا قويا في جهودهم الإصلاحية التي يقومون بها ومن هنا نرى اهتمامهم بهذا الجانب في تفاسيرهم إظهار لما في القرآن من إعجاز وولع بذلك كثير حتى بالغوا وهذا حصَل حتى قبل هذا القرن وعلى سبيل المثال تفسير فخر الدين الرازي وغيره فكانت بوادر

[1] مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مرجع سابق، ج2، ص124.

[2] مُحَمَّد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج2، ص363.

الإتجاه العلمي قديمة إلا أن هذا الإتجاه قوي في العصر الحديث أكثر نتيجة الإتصال بين العالم الإسلامي والحضارة الغربية الحديثة، وكان لتخلف المسلمين الشديد في الناحية العلمية والصناعية وتقدم الغرب وتفوقه فيهما أثر كبير في رواج النزعة العلمية للتفسير في هذا العصر، لذا نجد في العصر الحديث كثيرا من اهل التفسير الذين يدعون إلى التجديد والإصلاح تبنوا هذه النزعة وطبّقوها في تفاسيرهم ودعوا الناشئة من الأجيال الإسلامية إلى الاهتمام بهذا النوع من التفسير، وكان ممن خاض هذا الغمار الإمام مُحَمَّد عبده وتلميذه مُحَمَّد رشيد رضا من بعده الذي كان يرى أن الذي لا يأخذ بالتفسير العلمي وخاصة في الظواهر الكونية هو معرض عن جوهر القرآن.[1]

كما نجد الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإصلاحية في الجزائر ورائد التفسير الإصلاحي إعتنى هو الآخر بالتفسير العلمي فكان كثير الإعتناء بالإعجاز العلمي ومن مُجمل ما قاله في هذا الشأن هو أن الإعجاز البياني هو الناحية الظاهرة للإعجاز القرآني إذ أن هناك ناحية أخرى لهذا الإعجاز هي أعظم وأعم وهي الناحية العلمية تلك التي أَذعن لها ويَعترف بها كل ذي فهمٍ من جميع الأمم وفي كل قطر وفي كل زمان وهي الناحية التي ألمح الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ **قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾ [**الفرقان :6**]، فما ذُكر من حقائق كونية كانت سرا في ذلك العهد مجهولة عند جميع البشر كالزوجية في كل شيء، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾ [**الذاريات :49**]، وسبح الكواكب في الفضاء وسير الشمس إلى مُستقر مجهول لا يعلمه إلا الله وغير ذلك من أسرار العمران والإجتماع وما تصلح عليه حياة الإنسان ممّا توالى على تصديقه تجارب العلماء إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم فكتاب اشتمل على كل هذه الأسرار لا يمكن أن يأتي به مخلوق.[2]

فالشيخ العلامة ابن باديس يرى أن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لهذا الدين فهو إذن موجّه إلى البشرية جمعاء على اختلاف العصور والأزمنة والأمكنة ولهذا فهو كتاب لا ينفرد

[1] ينظر: مُحَمَّد درّاجي، محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، مرجع سابق، ص169/168.

[2] ينظر: عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص234.

بفهمه عصر دون آخر أو جيل دون جيل فكل جيل يجد فيه ما تقوم به الحجّة عليه وهذا انطلاقا من تأثره بالتفسير العلمي مُستندا على ما ذهب إليه بأن القرآن لا يمكن أن يكون أتى به مُحَمَّد ﷺ من عنده ولا يمكن أن يستعين عليه بغيره ولا أن يكون من وضع الأوائل لأنه ينطوي على أشياء من أسرار الكون لا يعلمها إلا خالقه.[1]

فالعلامة ابن باديس نجد في تفسيره الغرض الهدائي كما نجد فيه كذلك النزعة العلمية وهذا ما رأيناه من خلال ما قاله في تفسير مجالس التفسير لكلام الحكيم الخبير، فهل ظهرت النزعة العلمية في تفسير شيخنا أبي بكر جابر؟

إن شيخنا لم يلزم نفسه بذلك لأنه وعد بأن يكتب تفسيرا هدائيا لجميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وكان يهدف إلى إيصال فهم كتاب الله عز وجل إلى كل من يقرأ كتابه وخاصة عامة المسلمين، وقال فيه صاحب كتاب التفسير والمفسرون في غرب افريقيا الدكتور مُحَمَّد بن رزق بن طرهوني: " موقفه من العلوم الحديثة والرياضة والفلسفة والمعجزات الكونية لم يظهر لي إهتمام الشيخ بهذا المجال ولعل السبب في ذلك ما شرطه على نفسه في مقدمة التفسير".[2]

إن التطرق إلى الجانب العلمي الذي أشار إليه القرآن في عصرنا الحاضر أراه أصبح ضروريا إذا كان هناك من مصلحة ملحة لذلك كإيضاح للناس المعجبين بالغرب إلى درجة التنصّل من الدين، لعل بذلك يُصلح شأنهم ويعودون إلى جادّة الصواب.

وهذا ما جعل بعض المصلحين يهتمّون بهذا الجانب في تفسيرهم حتى يُبينوا الحق من الضلال بأن القرآن يدعوا إلى العلم وإلى التعلّم بدليل قوله عز وجل: ﴿.. **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [**الزمر :9**]، إلا أنه لا يجوز أن يبالغ في هذا الشأن إلى درجة أن نجعله كتاب علم بل إنه كتاب هداية يدعوا إلى العلم.

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص235/234.

[2] ينظر: مُحَمَّد بن رزق بن طرهوني، التفسير والمفسرون غرب افريقيا، مرجع سابق، ص802.

ثالثا: الوحدة الموضوعية لآيات القرآن

إن من أهم مميزات التفسير الإصلاحي هي الوحدة الموضوعية التي تعني الربط الموضوعي للآيات القرآنية وأول من قام به هو سيدنا رسول الله ﷺ أثناء تفسيره لبعض الآيات القرآنية، فعلى سبيل المثال تفسيره ﷺ لقوله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ..**﴾ [**الأنعام :59**]، فقال ﷺ مفاتيح الغيب خمس– قال تعالى- ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾[**لقمان :34**][1]، وهذا ما اعتبر في أصول تفسير القرآن كدليل شرعي[2] مما يدل على أن الربط بين الآيات موجود في القرآن الكريم هذا ما يعزز ما ذهب إليه أصحاب التفسير الإصلاحي بوجود الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم أو ما يُسمى كذلك بالربط الموضوعي للآيات وهذه هي الخاصية أُعتبرت في التفسير الإصلاحي ميزة من مميزاته فسار عليها المفسرون المصلحون إلا أنها لم يكن لها اعتبار إلا في القرن الرابع عشر أصبحت خاصية من خصائص التفسير الإصلاحي يتميز بها.[3]

ومن اهتمامات التفسير الإصلاحي أنه يجمع الآيات القرآنية ذات صلة بالموضوع الواحد ليعزز ما يريد أن يرشد إليه وعليه فلا بدّ أن تكون للمفسر النظرة المتكاملة حول القضية المطروحة حتى تكون له الحجة الدامغة بذلك يستطيع معالجة ما يريد إصلاحه.

وعليه فإن من أراد أن يفهم القرآن فهما صحيحا عليه أن ينظر إليه نظرة شاملة دون تجزئة وذاك هو المفتاح الأساسي لتدبره وفهمه وهذا ما عمل به شيخنا رحمة الله عليه وابتعد عن التجزئة بل كان ينادي دائما إلى الفهم العام وهذا هو المأمور به دون الذهاب إلى التفاصيل الدقيقة وهذا يهم المتخصصين وليس عامة المسلمين ومن هناك كانت المدرسة الإصلاحية موفّقة في هذا الطرح من أجل تعميم الفائدة والإصلاح العام.

وما أجمل ما قاله الشيخ رحمه الله الذي كان يسعى دائما إلى وحدة المسلمين: "خلو هذا التفسير من ذكر الأقوال و إن كثرت والإلتزام بالمعنى الراجح والذي عليه جمهور المفسرين

[1] رواه البخاري، كتاب الإيمان، ج6، ص20.

[2] ينظر: مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التحرير في أصول التفسير، ص44/43.

[3] ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص16.

من السلف الصالح، حتى إن القارئ لا يفهم أن هناك معنى غير الذي فهم من كلام ربه تعالى، وهذه ميزة جليلة وذلك لحاجة جمع المسلمين على فكر إسلامي موحّد صائب سليم".[1]

إذن فهناك قسط مشترك بين جميع المسلمين في فهم النص هذا الذي يجمعهم وبالتالي يجب ترويجه والعمل به.

رابعا: خاصية إسقاط النص القرآني على الواقع المعيش أو التوسع في معاني القرآن من أجل معالجة الأوضاع المعيشة

إن أصحاب التفسير الإصلاحي لا يقفون عند مفاهيم اللغة أو ما قام به من سبقهم في نص من نصوص القرآن الكريم بل يجتهدون على ضوء المعاني للسلف ويزيدون أو ينتقدون كذلك إذا كان التفسير للنص من قبل من سبقهم لا يعتمد على دليل قاطع فهم يعطونه معنى جديدا يوافق روح القرآن مع مطابقته لواقع الأمة اليوم فهم بذلك أرادوا أن يعطوا للنص القرآني البعد الواقعي وذلك بتوسيعه حتى يشمل السيرة وحياة الصحابة رضوان الله عليهم.

وفعلا فإن السيرة هي التفسير العملي بل التطبيق الواقعي لمعاني القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم كُلّف بذلك بصريح القرآن ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [**النحل :44**]، فالقارئ للتفسير حينما يجد أن هذه الآيات عاشها الرسول ﷺ والصحابة وكانت واقعا معيشا، يأخذ مأخذ الجدّ ويحاول أن يطبقها في حياته وهذا هو دور التفسير الإصلاحي، بذلك يُعتبر المفسر قد جدّد لأنه حاول أن ينقل إلى القارئ السورة الحية لمعاني آيات القرآن في ثوب قشيب من خلال تفسيره الذي ربطه بواقع طُبّقت فيه معاني القرآن، وهو حياة الرسول ﷺ وصحابته وواقع يريده أن يعيش هذه المعاني كما عاشه سلفه الصالح لكنه في زمن جديد، لأن القرآن هو لكل زمان ومكان ولم ينزل خاصا بزمن الرسول ﷺ وأصحابه، قال تعالى: ﴿..**قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[**المائدة :15-16**].

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص7.

ومن هنا نرى شيخنا أبا بكر يستجيب لما يطلبه منه الواقع فيقول: "فهذا تفسير موجز لكتاب الله تعالى القرآن الكريم وضعته مراعيا فيه حاجة المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله تعالى الذي هو مصدر شريعتهم، وسبيل هدايتهم وهو عصمتهم من الأهواء وشفاءهم من الأدواء، قال تعالى: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**﴾ [**الإسراء : 82**][1] "، كما يقول ابن باديس شيخ نهضة الإسلام في الجزائر حين تناول قوله تعالى: ﴿..**قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ** ﴾[**المائدة :15**] فقال: "كان مُحَمَّد ﷺ ذلك النور الربّاني مجليا الحقائق للبشرية كلها ولا يُحرم من ادراكها إلا مطموسو البصائر الذين زاغوا فأزاغ الله قلوبهم...ولما دعا اللهُ إلى تصديق رسوله بالحجة العلمية الخُلقية من بيانه وتجاوزه ذكّر بهذه النعمة العُظمى في قوله: ﴿..**قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ**﴾ [**المائدة :15**] ".[2]

كما أكّد على فهم القرآن من خلال فهم السيرة لأن فقه الإسلام يتوقف على فهم السيرة وفهم القرآن فقال: "إن فهم القرآن يتوقف على فقه حياة النبي ﷺ وسنّته وفقه حياة النبي ﷺ يتوقف على القرآن وفقه الإسلام يتوقف على فقههما"[3].

فالشيخان عبد الحميد بن باديس وأبوبكر يركزان على فهم القرآن والسنة وإسقاطهما على الواقع المعيش من أجل تغيير حال الأمة وإصلاحها.

فخاصية توسيع المعنى القرآني وإسقاطه على واقع الأمة ميزة من مميزات التفسير الإصلاحي من أجل الابتعاد عن الجمود والتقليد[4] حتى يؤدي التفسير الإصلاحي دوره في إرجاع هذه الأمة إلى دورها المنوط بتا، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ..**﴾[**آل عمران :110**]، وبما أن القرآن كما جاء فيه هو شفاء ورحمة للمؤمنين لقوله تعالى: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ..**﴾[**الإسراء:82**]، والمؤمنون في كل زمان ومكان فهو واقعي لأن القرآن من عند

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج1، ص5.

[2] عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مرجع سابق، ص420.

[3] المرجع نفسه، ص421/420.

[4] ينظر: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، من ص738-743.

الله الذي يعلم أن المؤمنين بحاجة له في كل مكان وزمان، وهكذا أدرك ابن باديس هذا الفهم الوافي فراح يقول: "نتناول القرآن العظيم دواء من عند ربنا شفاء لأمراض عقولنا، وأمراض نفوسنا، وأمراض مجتمعنا، فنطلب ذلك منه بتدبر آياته وتفهّم إشاراته، ووجوه دلالته".

ومن هنا نقول أن عدم إقصار القرآن على زمن معين هو واجب دعوي على أهل الإصلاحي أن يتدبروا هذا القرآن ويبلغوه إلى جميع الخلق بإقامة الحجة عليهم وأنه وحده القادر على حل مشاكل العالم أجمع لأنه من عند الله فهو يتجاوز الزمان والمكان ويلبي المطالب الإنسانية بدءا من العقائد وانتهاءً إلى أبسط ما الناس بحاجة إليه في يومنا هذا ويستطيع تحدي الجميع وتحدي جميع المتحديات.

وهذا ما جعل شيخنا ينادي بالعودة إلى هذا القرآن لحفظه ودراسته وفهمه ثم العمل به :"وإني أطالب المسلم أن يقرأ أولا الآيات حتى يحفظها فإذا حفظها درس كلماتها حتى يفهمها، ثم يدرس معناها حتى يعيه ثم يقرأ هدايتها للعمل بها".[1]

ومن هنا وجب على أصحاب التفسير الإصلاحي أن يقوموا بواجبهم المتثل في تقريب الفهم للناس بإسقاط معنى القرآن على واقع الأمة وذلك بإستنباط هداية الآيات التي تعالج واقع المجتمعات وهذا ما قام به بعض أهل العلم من أمثال الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا والشيخ عبد الحميد بن باديس وتلميذهِ الشيخ أبي بكر فجزاهم الله عنا كل خير، ولكن هل من مزيد؟!

وهذا لا يتأتّى إلا بنشر الوعي والتجديد في الفهم وهذا ما سنتناوله في الخاصية التالية وهي التجديد في الفهم.

خامسا: التجديد في الفهم

هذه الخاصية لا تتحقق إلا إذا تجرّد المفسر من المقررات السابقة التي لا تعتمد على أساس شرعي قطعي مُجمع عليه، فكل اجتهاد في عصر قد يصلح لعصر آخر أو لا يصلح البتّة وهذا يفتح الآفاق للإجتهاد لمن هم أهله وليس لمن هبّ ودبّ أي لمن يُشهد له بالعلم في هذا الميدان حتى لا يكونَ طُفيليّا يُؤدّي إجتهاده إلى الإنحراف وبالتالي على أهل العلم المشهود لهم أن يقوموا بواجبهم.

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، مرجع سابق، ص7.

فليست الأمة فقيرة من كتب التفسير ولكنها فقيرة من تجديد التفسير الذي يحلّ مشاكل الأمة ويُرجعها إلى جادّة الصواب وتبوّء مكانتها.

كما أسلفت أن الأمة تتمتع بتراث ضخم في مجال التفسير ولكن هل يستجيب لمتطلبات العصر؟، لا يعني هنا أن ما في القرآن نُخضِعه للعصر _حاشا لله_ ولكن المطلوب أن يعمل أهل العلم في هذا الميدان على اكتشاف واستنباط ما يُعالج قضايا العصر، كما يجب أن نمحّص كل ما في هذا التراث من التفسير الذي قام به الأوائل فما وجدناه صالحا ويصلُح لهذا الزمن دون الخروج عن القواعد الأساسية المجمع عليها من أهل العلم المختصّين في ميدان التفسير ويُضاف إليه ما لم يصل إليه سلفنا، فهذا سبيل نحو التجديد لأن التقليد والجمود غير مقبولٍ عموما في الإسلام، وهذا ما أشار إليه القرآن في قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ** ﴾[**الزخرف:23**]، قال الشيخ البيضاوي: "والآية تسلية للرسول ﷺ ودليل على أن التقليد في نحو هذا ضلال قديم"[1]، فالقرآن ينبُذ التقليد الأعمى بل يدعوا إلى استعمال العقل السديد من أجل التمحيص والتّمييز وبذلك يتحرر من الخلفيات السابقة، كذلك المفسر للقرءان الكريم يجب أن لا يكون عبئا على غيره وليس معنى هذا أن لا يستفيد ممّا سبق بشرط الغربلة أي التمحيص والتمييز مع إبراز أن القرآن صالح لكل زمان ومكان وهذا ما نادى به صاحب تفسير المنار بقوله: "فهل يُعقل أنّه يرضى بنا بأن نكتفي فيه بالنظر بقول من نظروا فيه قبلنا ممن لم يأتنا من الله وحي بوجوب اتباعهم لا جملة ولا تفصيلا، كلا يجب على كل واحد من الناس أن يفهم آيات الكتاب بقدر طاقته بعد أن يُحصّل من وسائل الفهم ما يؤهله لذلك مما اشترطه العارفون بهذا العلم" [2]، وفكرة التدبر أمر بها القرآن وهذا من أجل فهمه والعمل به، قال تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [**مُحَمَّد:24**]، وقد أشار الشيخ أبوبكر إلى الإنحراف الذي حصل لكثير من المسلمين في شأن القرآن فأصبحوا يُقصرونه على

[1] ينظر: مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج3، ص154.

[2] مُحَمَّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج1، ص20.

التبرّك به وقراءته على الأموات مما دعاه إلى كتابة هذا التفسير الذي عنونه بكتاب أيسر التفاسير حتى يسهُل على كل مسلم أن يقرأ القرآن ويتدبره ويفهمه ويعمل به.[1]

ولهذا الإقتصار في التفسير على نقل ما قاله المفسرون في زمن معين معناه الجمود، والقرآن جاء ليُحيي النفوس حتى تستجيب لنداء ربها وهذا ما يُقوّي سلطان القرآن على هذه النفوس ويجعلها تسعد في الدنيا والآخرة.

فعلى المفسرين المصلحين إذا أرادوا سلطان القرآن يسود النفوس الطيبة ويقرب الشاردة أن يكون تفسيرهم مبني على أهم هذه الخصائص التي تتمثل في:

1-إبراز هداية الآيات، مثلما سنرى في المبحث الثاني للشيخ أبي بكر جابر الجزائري الذي أنعش نفوسنا باستنباط هداية الآيات خاصة في الجانب العقدي الذي هو أساس كل إصلاح في المجتمع.

2-الربط الموضوعي لآيات القرآن، لأنه بذلك يتذوق المؤمن حلاوة القرآن.

3-التوسع في معاني الآيات القرآنية، وذلك بإسقاطها على الواقع المعيش حتى تبعث الروح في هذه الأمة فتعود إلى عِزّها ومجدها التليد.

4-الاهتمام بما تشير إليه الآيات القرآنية في الجانب العلمي، لأنه مهم في كشف أسرار هذا العالم وبذلك تُدرك عظمة خالقه سبحانه فيزداد المؤمن تقربا إلى الله وإيمانا.

5-التجديد في الفهم والتجرد من المقرّرات السابقة لأن القرآن صالح لكل مكان وزمان ولأنه صادر من علّام الغيوب.

الفرع الثالث: بعض أعلام التفسير الإصلاحي

نظرا للظروف التي مر بها العالم الإسلامي في مطلع القرن العشرين وهي ظروف قاسية جعلت من العالم الإسلامي عالَما متخلفا في جميع الميادين، هذه الظروف القاسية هي التي جعلت من الغيورين على دينهم من أهل العلم في التفسير أن ينبروا من أجل إصلاح شأن أمتهم إنطلاقا من كتاب الله عز وجل وذلك بتجديد أساليب التفسير بالإعتماد على هداية آياته من أجل تقريبه إلى جميع أفراد المجتمع، وهذا ما قام به ثلة من هؤلاء العلماء الذين

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ج1، ص7/6/5.

سخرهم الله سبحانه لخدمة كتابه وعباده، فهؤلاء جديرون بأن يُعرفوا حتى يُقتدى بهم، إنهم دُعاة إلى الله يقومون بتبليغ ما جاء به سيدنا مُحَمَّد ﷺ حتى يهتدي بهم الناس إلى طريق الحق.

ولقد اخترت من هذه المجموعة الصالحة المصلحة والذين كان لهم صدًى كبيراً في تغيير أسلوب التفسير الذي كان يصلُح في أزمنة وأصبح لا يُوصل ما في القرآن إلى الناس لبُعدهم عن اللغة العربية الأصيلة ولعدم اشتغال أهل التفسير بهداية القرآن التي هي الأساس لأنها تضيء للناس الطريق الصحيح الذي جاء به مُحَمَّد ﷺ من عند الله، قال تعالى: ﴿..**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاط اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ**﴾ [**الشورى:52-53**]، المجموعة التي أدركت هذه المهمّة لذا اعتمدوا في تفاسيرهم أهم الخصائص التي ذُكرت حتى تساعدهم على إيصال هداية آيات الله إلى عباده فيستضيئون بها فيسيروا على الصراط المستقيم.

من هؤلاء العظماء الذي تأثروا بالحركة السلفية[1] فعملوا على الإعتماد على التفسير الإصلاحي لهداية الناس بنور القرآن فأقبلوا عليه يدرسونه ويتدبرونه ويفسرونه، ويستلهمونه في جهودهم في الدعوة والحركة والتربية والإصلاح:[2]

أولا: جمال الدين الأفغاني (1254هـ/1839م-1315هـ/1897م)

قال فيه صاحب كتاب لمحات في علوم القرآن وإتجاهات التفسير: "وما زال العالم الإسلامي يتطلع إلى إتجاه سليم يروم الإصلاح، حتى كان جمال الدين الأفغاني الذي قام بحركة فكرية هامة، تصدع بصوت عامر بالإيمان، معتز بالقرآن، يدعوا إلى معالجة الفساد الاجتماعي، والتأخر الفكري والحضاري وذلك بالرجوع الى الإسلام الحق، وتحكيم نصوصه الثابتة من الكتاب والسنة"[3].

كان في عمله الدعوي الإصلاحي ينطلق من هدي القرآن وغرضه من ذلك إصلاح المجتمع وذلك من خلال تفسير القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه

[1] ينظر: أنور الجندي، العالم الإسلامي والإستعمار السياسي والإجتماعي والثقافي،من ص289-310.

[2] ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، مرجع سابق، ص562/563.

[3] مُحَمَّد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، مرجع سابق، ص310.

تنزيل من حكيم حميد: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [**فصلت: 42**]، كان يدعوا إلى اليقظة وإصلاح الواقع المؤلم الذي كان عليه المسلمون، فسبب له هذا التوجه متاعب كثيرة مما أدى إلى مُطاردته من طرف الإستعمار ومُهاجمته من الجامدين.

إن أعظم مرحلة مُثمرة في حياته هي المدة التي عاشها في مصر، بحيث تتلمذ عليه عدد من العلماء من أشهرهم الشيخ مُحَمَّد عبده، الذي استفاد منه كثيرا وكما قلنا أن إلتزامه بالعمل الإصلاحي سبّب له الكثير من المعاناة، فها هو يُنفى من مصر سنة 1296هـ لكنه لم يستسلم بل واصل جهاده من أجل الإصلاح خارج مصر والتقى مع تلميذه مُحَمَّد عبده في باريس وأنشآ جريدة العُروة الوُثقى، وتميّز جمال الدين بمعرفته اللغة الفارسية والعربية والإنجليزية والروسية،[1] بمعرفته لهاته اللغات التي يتكلمها أهل هذه المساحة الجغرافية الممتدة طويلا مكّنه من نشر دعوته الإصلاحية المعتمِدة على هدي القرآن الكريم، فكان يقول: "إن القرآن حي لا يموت، ومن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ومن أصيب من مقته فهو ممقوت، كتاب الله لم يُنسخ، فارجعوا إليه وحكّموه في أموالكم وطباعكم، وما الله بغفل عما تعملون".[2]

فهذا الكلام شبيه بما قاله الشيخ أبوبكر في مقدمة تفسيره بقوله: "وضعته مراعيا فيه حاجة المسلمين اليوم إلى فهم كلام الله تعالى الذي هو مصدر شريعتهم، وسبيل هدايتهم، وهو عصمتهم من الأهواء وشفاءهم من الأدواء قال تعالى: ﴿..**قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[**المائدة :15-16**]، ويقول ويقرأ القارئ: ﴿ ..**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** ﴾[**المائدة :44**]، ويسمعه من يسمعه ولا يخطُرُ على باله أن الآية تُصرح بكفر من لم يحكم بما أنزل الله وأن أكثر المسلمين مُورّطون في هذا الكفر حيث تركوا تحكيم الشريعة الإسلامية إلى تحكيم القوانين الملفّقة من قوانين الشرق والغرب وهكذا كان يُقرأ القرآن على أموات الأحياء وأحياء الأموات فلا يُرى له أثر في الحياة".[3]

---

[1] ينظر: مُحَمَّد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، مرجع سابق، ص311.

[2] المرجع نفسه، ص313/312.

[3] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ج1، ص5.

كما أن الأستاذ الداعية جمال الدين الأفغاني تعرض إلى محاربة المفاهيم الضالة العالقة في أفهام العامة ومعظم الخواص في العقائد الدينية والنصوص الشرعية على غير وجهها الصحيح، مثل حملهم نصوص القضاء والقدر على معنى يُوجب عليهم أن لا يتحركوا إلى طلب مجد أو تخلّص من ذل.

وهو يعتبر القرآن هو وحده سبب الهداية إلى الحق والعُمدة في الدعاية وما كان من تفسير العلماء له واستنتاجاتهم من خلال تفاسيرهم لا يُعوّل عليه كوحي وإنّما يُستأنس به كرأي.

وكأني به يدعوا إلى تجديد الفهم وعدم التقليد والجمود وهذه خاصية من خصائص التفسير الإصلاحي لأن أصحاب هذا الإتجاه يعتبرون أن القرآن هو صالح لكل زمان ومكان. والتفسير قابل للتجديد فيه ما يُؤخذ وفيه ما يُصبح لاغياً لأنه اجتهاد البشر.[1]

وعليه فإنه عمِل على إيقاظ الوعي الإسلامي عن طريق التمسّك بالقرآن وإلغاء العصبية المذهبية وإلغاء التقليد، والإجتهاد في فهم القرآن والملاءمة بين مبادِئه وظروف الحياة التي يعيش فيها المسلمون، وطرح الخرافات والبِدع التي غيّرت من جوهر الإسلام والتي جعلته وسيلة سلبية في الحياة بدلا من كونه حقيقة واضحة، وقوة إيجابية في الهيمنة على الحياة وتوجيهها.[2]

ثانيا: الشيخ مُحَمَّد عبده (1266هـ/1849م-1323هـ/1905م)

وأما تلميذه الشيخ مُحَمَّد عبده فهو يُعتبر أكبر ثمرة خلّفها الأستاذ المعلم جمال الدين الأفغاني، هذه الشخصية العظيمة ذات التوجه الإصلاحي كان لها دور عظيم في التفسير الإصلاحي بل هناك من يَعدّه واضع الأسس الأولى للتفسير الإصلاحي في القرآن الكريم لأنه كان يستلهم هدي القرآن لإرشاد المسلمين وإصلاحهم في جوانب حياتهم كلها.

كان الشيخ مُحَمَّد عبده أقدر من غيره من رجال عصره على تصوير الداء والبحث عن الدواء الناجع في آيات القرآن وأحكامه لأنه كان مُلمّا بالأوضاع الاجتماعية العامة والإتجاهات

[1] ينظر: فهد الرومي، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ص739/738.

[2] ينظر: مُحَمَّد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن، مرجع سابق، ص313.

الفكرية المختلفة كما كان عارفاً للعلوم الأساسية التي بُنيت الحضارة الغربية الحديثة، ومُدركاً لأبعاد مخططات أعداء الإسلام الحقيقية.

من أجل ذلك أسس مدرسة التفسير الإصلاحية التي استطاعت أن تواجه هذه التحديات وتُبصّر المسلمين وتدعوهم إلى التمسّك بهدي القرآن الكريم وأحكامه حتّى لا يستطيع خصوم الإسلام النفاذ إلى المجتمع المسلم وتفكيك عراه والقضاء على مُنجزاته.

فكانت هذه المدرسة ذات مكانة وتأثير بحيث تكوّن فيها عمالقة التفسير الإصلاحي من أمثال الشيخ العلامة مُحَمَّد رشيد رضا فكان الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا أبرزهم وهو الذي سار على منهج شيخه مُحَمَّد عبده وأضاف.

واهتم الشيخ مُحَمَّد عبده في إصلاحه بجانبين: " الجانب الفكري والجانب السياسي".

– ففي الجانب الفكري كان يدعوا إلى إصلاح اللغة العربية في كيفية تعلمها وتعليمها والإهتمام بها لأنها لغة القرآن وهذا ما أشار إليه صاحب تفسير التحرير والتنوير الشيخ العلامة مُحَمَّد الطاهر بن عاشور في المقدمة الثانية من المقدمات العشرة التي استفتح بها تفسيره، وهي بعنوان في استمداد علم التفسير، في هذه المقدمة بيّن فيها بأن المفسر لا بد له من التضلع في علوم اللغة العربية وهي النحو والصرف والبلاغة ويؤكد على علم البيان والمعاني من علوم البلاغة.[1]

تحرير الفكر من قيد التقاليد: وكان يدعوا إلى استئناف الإجتهاد وفهم الدين على طريقة سلف الأمة والرجوع إلى الينابيع الأولى فهو هنا يتّفق مع أستاذه جمال الدّين وتلميذه شيخِنا أبي بكر جابر الذي كان هو الآخر واضحا في مقدمة تفسيره في ذم التقليد، سبق أن فصّلنا في هذا الأمر في خاصية التّخلّص من الأحكام المسبّقة وتجديد الفهم.[2]

– وفي الجانب السياسي كان يدعوا إلى معرفة الأمة حقها على حاكمها كما أنه عليها النصح له ومقاومة الإستعمار في العالم الإسلامي لأنه سبب كل المصائب التي حلّت به.

وهذا ما نرى الشيخ العلّامة ابن باديس إهتمّ به في إصلاحه بإحياء فريضة الجهاد وذلك بإعداد النفوس له عن طريق فهم ما يطلبه منهم الله سبحانه في القرآن.

---

[1] ينظر: مُحَمَّد الطاهر بن عاشور، المقدمة الثانية التحرير والتنوير، ج1، ص19.

[2] ينظر: خصائص التفسير الإصلاحي من هذه المذكرة ص52.

ونفس الشيء نرى الشيخ أبا بكر إهتم به كذلك وهو نبذ الإستعمار ومقاوته وإخراجه من بلاد المسلمين وعدم الأخذ بقوانينه فقال :"تركوا تحكيم الشريعة الإسلامية إلى تحكيم القوانين الملفّقة من قوانين الشرق والغرب".[1]

فالإمام مُحَمَّد عبده يرى أنّ نهضة الأمّة الإسلامية تكمن في الرّجوع إلى القرآن الكريم والسير على هديه مع الإستفادة بما لا يتعارض من الإسلام من الحضارة الحديثة المعاصرة ولهذا نراه يقول :"ألم يأنِ لنا أن نرجع إلى المعروف مما كان عليه سلفنا فنحيا بما كان قد أحياهم ونترك ما ابتدعه أخلافهم مما أماتهم وأماتنا معهم..-إلى أن قال-.. : فالقرآن سر نجاح المسلمين ولا حيلة في تلاف أمرهم إلا بإرجاعهم إليه".[2]

إذن دعوته صريحة في الرجوع إلى القرآن الكريم والاهتداء به لأنه كما قال هو سر نجاح المسلمين.

فلا نعجب أن نراه يطلب من الذين يتصدّون للتفسير في هذا العصر أن يجعلوا تفسيرهم يحقق هداية النّاس إلى الخير الذي يريده الله لعباده لأن القرآن كتاب هداية وإرشاد إلى ما فيه سعادة الدنيا والفوز في الآخرة.

كما أنه كان يرى أنّ المنهج السليم في التفسير أن نجعل القرآن مصدرا لعقائدنا ومذاهبنا لا أن تكون عقائدنا ومذاهبنا مُتحكّمة في القرآن.[3]

وهو بهذا يشير إلى الفِرَق التي جعلت القرآن يخضع لما تريد أن تحققه، ولم تجعل نفسها تخضع لما يريد القرآن، ولهذا دعا أصحاب التفسير الإصلاحي من أمثال الشيخ مُحَمَّد عبده ومن جاء بعده كتلميذه مُحَمَّد رشيد رضا إلى التجرد من المقرّرات السابقة حتى يكون هناك تجديد في الفهم شريطة أن لا يتجاوز هذا الفهم ما أجمع عليه أهل السنّة والجماعة.

ولا يُعتبر الشيخ مُحَمَّد عبده كمُفسّرٍ للقرآن فقط بل يُعتبر صاحب الانطلاق في التفسير الإصلاحي من بعد أستاذه جمال الدين الأفغاني فيجيء تلميذه الشيخ الإمام مُحَمَّد رشيد رضا فيخلُفه، والذي بالفعل يُعتبر رائد التفسير الإصلاحي.

---

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ج1، ص5.

[2] ينظر: مُحَمَّد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، مرجع سابق، ص316،

[3] المرجع نفسه، ص318/317.

ثالثا: الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا (1288هـ/1865م–1354هـ/1935م)

فمن هو الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا؟.

هو التلميذ الوفي لأستاذه الشيخ مُحَمَّد عبده وُلد في القلمون سنة 1865م وهي قرية بجانب طرابلس في الشام وهو من أقرب المقربين للشيخ مُحَمَّد عبده من تلاميذه ومن أوسعهم نشرا لعلمه وآراءه، تلقّى علومه الأولية بالشام ثم رحل إلى مصر سنة 1315هـ والتقى بشيخه مُحَمَّد عبده هناك وأُعجب به وبعلمه وإصلاحه ومنهجِه في تفسير القرآن الذي قرأ منه في جريدة العُروة الوُثقى التي كان ينشرها مع أستاذه جمال الدين الأفغاني في فرنسا يوم أن كان في الشام فأُعجب بما قرأ في هذا التفسير.

ولهذا نراه يَعرض على شيخه ويُقنعه بإلقاء دروس في التفسير في جامع الأزهر، فلبّى الشيخ طلبه وبدأ درس التفسير في الأزهر الشريف، والشيخ رضا مُلازمٌ لدروس شيخه مسجّلاً لها[1]، وكان من أهم نشاطاته الدعوة والإصلاح والتعليم فأنشأ في القاهرة مدرسة الدعوة والإرشاد لتخريج المرشدين والوُعّاظ، كما قام بإصدار مجلة سُمّيت بالمنار واستمرّت عدة سنوات، وهي مجلة إسلامية متكاملة، وتُعتبر أول مجلة في العالم الإسلامي وكان له دائما فيها مقال للتفسير، كما أنشئت مطبعة المنار في القاهرة ساعدت على إصدار كثير من الكُتب والدراسات الإسلامية النافعة سواءا كانت له أو لغيره.[2]

ونراه خاض غِمار السياسة بعكس أستاذه مُحَمَّد عبده الذي كان لا يُحب ذلك، وهذا بعد وفاة أُستاذه فنقد الدولة العُثمانية وأنشأ مع المعارضين العثمانيين المقيمين في القاهرة جمعية الشورى العُثمانية وتولّى رئاستها، وكانت تُرسل منشوراتها السرية إلى كامل أرجاء البلاد العثمانية ممّا أقلق هذه السلطات.[3]

أما بالنسبة للتأليف فكان فيه من الرائدين، كما كان له نشاط واسع في الصحافة كذلك لأنه كان مُهتمّا بذلك من أجل نشر دعوته الإصلاحية فكانت له تآليف كثيرة من

---

[1] ينظر: صلاح عبد الفتّاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، مرجع سابق ، ص570-579، وينظر: مُحَمَّد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، مرجع سابق، ص320-322.

[2] ينظر: صلاح عبد الفتّاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، مرجع سابق، ص571/570.

[3] ينظر: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، مرجع سابق، ص805/804.

أشهرها: "تاريخ الأستاذ الإمام" : وهذا ما يدل على تعلقه بأستاذه وحبه له وهو في ثلاث مجلدات ويُعتبر أوسع ترجمة للإمام بل أوسع ترجمة لرجل واحد في العصر الحديث على حدّ تعبير الأستاذ الدّكتور فهد الرومي[1]، وكتاب الوحي المحمّدي وتفسير المنار الذي يُسمّى تفسير الالقرآن الحكيم والذي سنتناوله بإيجاز، ذكر المولد النبوي، ترجمة القرآن، شبهات النصارى وحجة الإسلام، الوهّابيون والحجاز، مناسك الحج، الوحدة الإسلامية، الخلافة،.. وغيرها من المؤلفات، وله كذلك كثير من المقالات والرسائل التي لا تقلّ قيمة عن هذه المؤلفات.[2]

وبعد وفاة أستاذه نهج المنهج السلفي أكثر مما كان عليه سابقا حيث كان يطغى عليه الفكر العقلي فمال في تفسيره إلى التفسير بالمأثور فاهتم بكتب السلف وطبعها في مطبعة المنار مما أثار عليه خصومه وسمّوه بالوهّابي هذا وقد بذل جهدا كبيرا في الدفاع عن العقيدة السلفية وكتب في ذلك مقالات كثيرة دفاعا عن هذه العقيدة، بل ألّف في ذلك كتبا منها الوهّابيّون والحجاز، والسنة والشيعة، وتُوفي رحمه الله سنة 1935م ودُفن بجوار أستاذه مُحَمَّد عبده بمصر.

ونقلا عن الأستاذ الدكتور فهد الرومي في كتابه إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، تؤُفي وهو يقرأ القرآن في السيارة قبل وصوله إلى مصر الجديدة عائدا من السويس.[3]

وهذا ما يدلّ على تعلّقه بالقرآن الكريم واهتمامه به وكيف لا وهو صاحب تفسير المنار المسمّى بتفسير القرآن الحكيم !

فما هو هذا التفسير؟ ..إنه من أهم التفاسير التي مثّلت التفسير الإصلاحي بحق بحيث لا يمكن أن نتكلم عن التفسير الإصلاحي دون أن نقف عنده لأنه رائد التفاسير التي أرست دعائمه، وكان لصاحبه ولشيخه وشيخ شيخه الفضل في التأصيل لهذا النوع من التفسير المسمّى بالتفسير الإصلاحي الذي أصبح مدرسة لها أصولها وخصائصها عند الدارسين لهذا الفن، وعليه فإن تفسير المنار يُعتبر من أهم التفاسير التي مثّلت التفسير الإصلاحي.

إنّنا عندما نتكلم عن تفسير المنار فإننا لا نتكلم عن تفسير من التفاسير بل إننا نجد أنفسنا نتحدث عن مدرسة لها خصائصا إنّها مدرسة المنار وليس تفسير المنار لأنه ثمرة جهود

[1] المرجع نفسه، 805.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص806/805.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص803-806.

علماء دعاة إلى الله أرادوا أن يقوموا بدعوة الأنبياء (العلماء ورثة الأنبياء) ينشرون نور الله في أرضه وذلك من خلال تفسير كتاب الله إعتمادا على هداية آيات الله، قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ..**﴾ **[الإسراء :9]**، مُعتمدين على قواعد لها أصولها مما جعلها تُحدث ثورة ينتبه لها الناس في توجيه الأمة إلى القرآن الكريم بمنهج إصلاحي فريد في وقت ساد فيه الإنحراف والركود والجمود فهذا الدكتور مُحَمَّد حسين الذهبي[1] يُسميها بمدرسة الأستاذ الإمام الأستاذ مُحَمَّد عبده مع ذكر أهم رجالها بعد الإمام الأستاذ السيد مُحَمَّد رشيد رضا والشيخ مُحَمَّد الفاضل بن عاشور يرى أن تفسير المنار رجاله ثلاثة أولهم السيد جمال الدين الأفغاني وثانيهم الشيخ مُحَمَّد عبده وثالثهم الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا.[2]

والحقيقة أن تفسير المنار هو ثمرة لجهود كل من الأستاذ جمال الدين الأفغاني بنظريته التي دعا فيها إلى إصلاح المجتمع الإسلامي، والشيخ الإمام مُحَمَّد عبده الذي طبّق النظرية في الميدان بإلقاء دروس التفسير من خلال تفسير الآيات القرآنية في جريدة العُروة الوُثقى وإلقاء دروس التفسير في الأزهر الشريف بإقتراح من تلميذه الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا، وأما الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا كان السند لأستاذه ووارث علمه ومتمّم لعمله.

إذن فتفسير المنار هو مدرسة بحق وهذا ما ذهب إليه كذلك الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي في كتابه تعريف الدارسين بمناهج المفسرين بقوله :"وظهرت مدارس فكرية إسلامية، إنطلقت من تفسير القرآن في إصلاح المجتمع، وأشهر هذه المدارس إثنتان :

- الأولى مدرسة الشيخ مُحَمَّد عبده.

-الثانية مدرسة الإخوان المسلمين".[3]

وبما أن الشيخ رضا كان هو السند لأساذه مُحَمَّد عبده ووارث علمه ومتمّم عمله نُسب إليه التفسير وسُمّي بتفسير المنار(تفسير القرآن الحكيم)، والسؤال المطروح هو ماهو نصيب الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا في تأليف تفسير المنار؟ وماهي الأسس والقواعد التي يقوم عليها هذا التفسير؟

---

[1] ينظر: مُحَمَّد حسين الذهبي، التفسير المفسرون، مرجع سابق، ص422/423.

[2] ينظر: مُحَمَّد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، ص167.

[3] صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، مرجع سابق، ص563.

نستطيع أن نقول بأن الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا كان هو المؤلف لتفسير المنار وذلك لأنه كان يُحرر ما سمعه من تفسير أستاذه وينشره في مجلة المنار التي أصدرها مع أستاذه وكان عنوانها بإختيار أستاذه مُحَمَّد عبده ولكن مُحَمَّد رشيد رضا هوا المحرر لهذه الدروس التي تُنشر بموافقة شيخه مُحَمَّد عبده، إلا أنه كان ينسبها لنفسه، ولما توفي الشيخ إستقلّ الإمام مُحَمَّد رشيد رضا بأعباء التفسير لوحده إلى أن لقي ربه.

ويُعتبر الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا من أكثر رجال هذه المدرسة كتابة في التفسير وهو الذي سمّى تفسير المنار بتفسير القرآن الحكيم، فالأجزاء الأولى كان باشتراك مع شيخه مُحَمَّد عبده وهي من بداية القرآن إلى بداية الجزء الخامس، ومن بعد بداية الجزء الخامس إلى سورة يوسف عليه السلام وهذا ما قال به صاحب التفسير ورجاله لفضيلة الشيخ مُحَمَّد الفاضل بن عاشور بقوله: "ثم لما انتهى النشر إلى حيث أدركت الوفاة الأستاذ الإمام، إستقلّ الشيخ رشيد بأعباء التفسير وحده فأكمل منه إلى نهاية الجزء الثاني عند قوله تعالى: ﴿.. **وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ**﴾ **[يوسف :52]**، فكان ما كتبه الشيخ مستقلا أكثر من سبعة أجزاء وما كتبه إعتمادا على أستاذه واستمدادا منه، أقل من خمس أجزاء فكان حظه في المجموع أغلب، وكان بانتساب هذا التفسير إليه أحق".[1]

وقال صاحب كتاب التفسير والمفسرون: "وإذا نحن تتبّعنا ما كتبه الشيخ رشيد رضا من تفسير للقرءان الكريم لوجدنا أنه أكثر رجال مدرسة الأستاذ الإمام إنتاجاً في التفسير، وذلك أنه كتب تفسيرا مُسمّى بتفسير القرآن الحكيم والمشهور بتفسير المنار..إبتدأ بأول القرآن وانتهى عند قوله تعالى: ﴿**رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ **[يوسف :101]**،.. ثم عاجلته المنيّة قبل أن يُتم تفسير القرآن كله".[2]

[1] ينظر: مُحَمَّد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مرجع سابق، ص174.

[2] مُحَمَّد حسين الذهبي، التفسير المفسرون، ج2، مرجع السابق، ص423.

وهذا القدر الذي فسّره هو مطبوع في اثني عشر مجلدا كبارا، ينتهي المجلد الثاني عشر عند قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ **[يوسف :53]**.

فالنصيب الأول من هذا التفسير كان من نصيب الأستاذ الإمام مُحَمَّد رشيد رضا وقد أكمل الأستاذ بهجة البيطار تفسير سورة يوسف وطُبع تفسير هذه السورة بأكملها في كتاب مُستقل يحمل اسم الشيخ رشيد رحمه الله.

كما فسّر الشيخ رحمه الله سورة الكوثر والكافرون والإخلاص والمعوّذتين، ويُعلّق صاحب التفسير والمفسرون حسين الذهبي بقوله على أن الرجلين كأنها رجل واحد (الشيخ مُحَمَّد عبده والشيخ رشيد رضا) بقوله: "وهو إنتاج لا بأس به وفيه تتجلّى روح الأستاذ الإمام ممزوجة بروح تلميذه، فالمصادر هي المصادر والهدف هو الهدف والمنهج هو المنهج والأفكار هي الأفكار ولا فرق بين الرجلين إلا فيما هو نادر".[1]

رغم أن هذا التفسير هو من أفكار ثلاث رجال وهم على التوالي الأستاذ المعلم جمال الدين الأفغاني والأستاذ الإمام الشيخ مُحَمَّد عبده والعلامة الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا، كل واحد من هؤلاء ساهم بقدر هو أهل له فالأستاذ الإمام جمال الدين ساهم فيه بالفكرة وهي تلك الفكرة العظيمة وهي كما قال رحمه الله :"القرآن وحده سبب الهداية، والعمدة في الدعاية".[2]

والشيخ مُحَمَّد عبده الذي كانت فكرته تدعو إلى فهم الكتاب العزيز من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث فهو تابع له أو وسيلة لتحصيله.[3]

والعلامة الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا تلميذه فهو كان يرى ما يرى أستاذه من أن القرآن كتاب هداية وإرشاد الناس إلى ما فيه خيرهم في الدنيا والآخرة، وزاد على أستاذه بعد وفاته إهتمامه بالتفسير المأثور.

---

[1] مُحَمَّد حسين الذهبي، التفسير المفسرون، ج2، مرجع السابق، ص424/423.

[2] مُحَمَّد الدراجي، محاضرات في علم النفسير ومناهج المفسرين، مرجع سابق، ص178.

[3] المرجع نفسه،، ص189.

أما الهدف فكان واحدا وهو دعوة الناس إلى جعْل القرآن هو المنطلق في التغيير وإصلاح المجتمع رغم إختلافهم في المنهجية بل إن هؤلاء الأعلام عمِلوا على نفض غبار القرون السابقة- بعد قوة المسلمين وخاصة في عصر الخلفاء الراشدين- عصر الإستبداد والضعف وعصر الإستعمار الغربي الذي سبب كل المصائب للعالم الإسلامي، وطالبوا بإصلاح حال المسلمين بالقرآن فجعلوا درس التفسير يسير على منهج الإعتناء بحاجة العصر وعدم التقيد بما هو موجود في كتب التفسير، ورغم ما لوحظ من بعض الفروق المنهجية بين جهود الشيخ مُحَمَّد عبده في التفسير وجهود تلميذه مُحَمَّد رشيد رضا لكنهما متحدان في الهدف وهذا ما أوضحه الشيخ مُحَمَّد الفاضل بن عاشور بقوله: "ولكن مع ما اختُلِف بين الطرفين في المنهج، فإن الغاية بقيت متّحدة، والروح بقيت متّحدة كذلك بحيث أن تفسير المنار في جملته يُعتبر ذا منهج مُطّرد، وأفكار متناسقة وهذا المنهج المطّرد قد يقع الإتجاه إليه من مسالك البحوث الأصلية النظرية أحيانا، وقد يقع الإتجاه إليه من مسالك النّقول الأثرية تارات أخرى، فإذا وصلت هذه المسالك او تلك بمجرد التفسير إلى المنهج المخطّط للسير إلتزمه واستقام عليه، حتى يصل منه إلى نتائج في بحوث أخرى عند آيات أخرى على ذلك المنهج نفسه، فبرزت من مجموع ذلك الوحدة التي جعلت من تفسير المنار مدار روح النهضة الإسلامية الحديثة وقِوام التفكير الإسلامي المجدد في القرن الرابع عشر".[1]

لذا فإن تفسير المنار المعتبر روح النهضة الإسلامية الحديثة وقِوام التفكير الإسلامي المجدد ومهاد الصحوة الإسلامية الحاضرة الأوحد فإنه يقوم على الأسس والقواعد الآتية:

1-تفسير الآيات القرآنية ضمن معاني الألفاظ المعروفة عند العرب أيام نزول القرآن.

2-عدم الإكثار من المسائل اللغوية والنحوية والبلاغية لأن الاهتمام بها قد يُؤدّي إلى حجب هداية الآيات التي هي الهدف.

3-يجب على المفسر أن يوصل هداية القرآن إلى العقول و القلوب من خلال شرح مبادئ القرآن وبيان الحكمة من شريعته انطلاقا من القرآن لأنه هو الدستور للحياة.

[1] مُحَمَّد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مرجع سابق، ص176.

4-الدعوة إلى الإستفادة من العلوم المتنوعة والثقافات الإنسانية الحديثة في تفسير القرآن الكريم ضمن الضوابط الأصولية المعروفة بين علماء الإسلام لأن ذلك يزيد تفهّما للقرآن الكريم.

5-إبعاد العناصر الدّخيلة التي تعيق الوصول إلى فهم القرآن فهما صحيحا كالإعتماد على الخرافات والإسرائيليات والأخبار الواهية التي أفسدت عقول المسلمين وابتعدت بهم عن الإنتفاع بكنوز القرآن.

6-دعوته الحارة إلى القضاء على التعصب المذهبي في المجتمع المسلم وبيان خطره على الوحدة الإسلامية.

7-الوقوف ضد الغزو والفكر الغربي الذي أفسد عقيدة الإسلام وشريعته وشوّه تاريخ الإسلام وأبطاله وذلك بالتّصدّي له بالأدلة العلمية والوقائع التاريخية إنطلاقا من هداية آيات القرآن.

8-معالجة أسباب تأخر المسلمين ودعوته إلى ثورة قرآنية على أوضاع العالم الإسلامي المتخلّف.

فليس غريبا ولا عجبا أن يُوصف تفسير المنار بأنه روح النهضة الإسلامية الحديثة وقوام التفكير الإسلامي المجدّد ومهاد الصحوة الإسلامية الحاضرة الأوحد لأنه لم يسبقهُ تفسير سار على هذه الأسس والقواعد التي بالفعل إن عُمل بها تؤدّي إلى الفهم الصحيح لكتاب الله الذي أنزله الله من أجل هداية خلقه إلى الصراط المستقيم صراط الله العزيز الحميد، قال تعالى: ﴿**الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [**إبراهيم :1**]، قال صاحب المنار الإمام مُحَمَّد رشيد رضا في مقدمة تفسيره: "والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يُرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة فإن هذا هو المقصد الأعلى منه وما وراء هذا من المباحث تابع له وأداء أو وسيلة لتحصيله".[1]

وجاء في مطلع بداية الورقة بعد الواجهة قوله: "هذا هو التفسير الوحيد الجامع بين صحيح المأثور وصريح المعقول، الذي يُبيّن حكم التشريع، وسنن الله في الإنسان، وكون القرآن هداية للبشر في كل زمان ومكان ويوازن بين هدايته وما عليه المسلمون في هذا العصر وقد

[1] مُحَمَّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ج1، مرجع سابق، ص17.

أعرضوا عنها، وما كان عليه سلفهم المعتصمون بحبلها، مراعى فيه السهولة في التعبير مُجتنبا مزج الكلام بمصطلحات العلوم والفنون بحيث يفهمه العامة ولا يستغني عنه الخاصة".[1]

وهذه الأسس التي اعتمد عليها تفسير المنار نرى شيخنا أبابكر قد طبق جلّها في تفسيره وخاصة إبراز الغرض الهدائي الذي نراه واضحا في هذا التفسير كما نراه إبتعد عن مُعوّقات الفهم كالغلو في المباحث النحوية واللغوية والبلاغية وخاصة بالنسبة لعامة الناس لأنه تحجب عنهم مُراد الله من آياته وهذا كان فيه صريحا في مُقدّمته فيقول: "إخلاء الكتاب من المسائل النحوية والبلاغية والشوائب العربية"[2]، ونبذ الخرافات الإسرائلية التي لا تعتمد على دليل في قوله: "إخلاءه من الإسرائليات صحيحها وسقيمها".[3]

فهو لا شك أنه متأثر بتفسير المنار، وكيف لا وهو يقول عن نفسه في خاتمة كتابه أيسر التفاسير الطبعة الثالثة: "لقد قرأت وطالعت المنار أكثر من أربع مرات وكنت إذا وصلت إلى موضع انتهاء ما كان الشيخ رشيد يتلقاه عن شيخه ويقول: إلى هنا إنتهى ما كنت أتلقّاه من الشيخ، يغلُبني البكاء فأبكي وأرى أن رزيّة ما فوقها رزيّة في موت الشيخين قبل إتمام تفسيرهما".[4]

وهذا ما يدلنا قطعا على التأثر على أن الشيخ أبابكر مُتأثر بالمنار ومنهجه وخاصة في الهدف الأساسي الذي هو تبسيط طريقة التفسير من أجل تبليغ هداية آيات الله إلى ما أمكن وخاصة عامة الناس الذين يمثلون الأغلبية.

رابعا: الإمام عبد الحميد بن باديس (1308هـ/1889م-1359هـ/1940م)

وعلى نهج المنار سار الشيخ عبد الحميد بن باديس إمام النهضة الإسلامية في الجزائر والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية[5]، وتتلخص أسس الإصلاح عنده في:

الإيمان: تطهير العقيدة من الشرك، والأخلاق من الفساد وهذا من خلال هدي القرآن الكريم.

---

[1] المرجع نفسه، ص1.

[2] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، مرجع سابق، ص6.

[3] المرجع نفسه.

[4] المرجع نفسه، ج2، ص1799.

[5] ينظر: محمود قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ص59/49.

تجسيد العبادات بالعلم الشرعي: ويجب أن تنعكس على المعاملات القائمة على العلم الشرعي كذلك حتى لا يقع انحراف.

العمل: وإلا وقع الخُسران وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾[**العصر** :**1-3**].

إذن ابن باديس يدعو إلى هدي القرآن المتمثل أولا في الايمان ثانيا في العمل الصالح ثالثا في الدعوة إلى الإيمان والعمل الصالح بالتثبت بالحق والصبر في الدعوة إلى هذا الحق المتثل في الإيمان والعمل الصالح، هذا هو الإصلاح عند ابن باديس عموما.

وليس عجيبا لأنه يُعتبر امتدادا للشيخين مُحَمَّد عبده والشيخ رشيد رضا إذ يقول فيه الشيخ البشير الإبراهيمي بعد أن تكلم عن الشيخين مُحَمَّد عبده ورشيد رضا بقوله: "ثم جاء إمام النهضة بلا منازع وفارس الحلبة بلا مدافع الأستاذ الإمام مُحَمَّد عبده فجلا بدروسه في تفسير كتاب الله عن حقائقه التي حام حولها من سبقه، ولم يقع عليها وكانت تلك الدروس آية على أن القرآن لا يُفسّر إلا بلسانين: لسان العرب ولسان الزمان...

وبه وبشيخه جمال الدين أُستُحْكِمَت هذه النهضة واستمرّ مريرها.

ثم جاء الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا سائرا على ذلك النهج الذي نهجه مُحَمَّد عبده في تفسير القرآن كما جاء شارحا لآراءه وحكمته وفلسفته في الدين والأخلاق والاجتماع.

ثم جاء أخونا وصديقنا الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس، قائد تلك النهضة بالجزائر بتفسيره لكلام الله على تلك الطريقة.

وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم والإصلاح والتربية والتعليم :وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والإستقامة على طريقته ؛وهو رأي الهُداة المصلحين من قبله".[1]

فالعلامة ابن باديس هو من مدرسة المنار فهو من علماء التفسير الإصلاحي وشيخنا أبوبكر بدأ يرضع لبن الإصلاح من جمعية العلماء المسلمين وهذا واضح من خلال ما تعرّضْنا إليه في المطلب الأول "التعريف بالشيخ أبي بكر جابر الجزائري"، وتأثرِه بالشيخ الطيب العقبي

[1] عبد الحميد ابن باديس، مجالس التذكير لكلام الحكيم الخبير، مرجع سابق، ص33/26.

الذي هو أحد أعمدة جمعية العلماء المسلمين والذي كان يقول في مُناهضته لأهل البدع والخرافات والمتاجرة بالدين هذا البيت الجميل الذي حفظته في أثناء دراستي في مرحلة شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي في مقياس الأدب الجزائري والذي كان يدرسه لنا الدكتور عبد الله الركيبي بمعهد اللغة والأدب العربي بالجزائري سنة 1976 ، والبيت هو:

وقالوا سكِرنا بحبّ الإلهِ وما *** أسكر القوم إلا القِصَعْ

والمعنى العام لهذا البيت أن أهل البدع والخرافات يزعمون بأنهم سكِروا بحبهم لله ولكن ليس صحيحا كما يقول الطيب العُقبي، وإنما الذي أسكرهم هو تلهّفهم لأكل اللحم من قِصَع الطعام الذي كان يُقدّم لهم عند ولائم الأعراس والجنائز بعد قراءة شيء من القرآن بالطريقة المخالفة للسنة.[1]

فتفسير ابن باديس الإصلاحي كان يعالج مثل هذه القضايا وغيرها التي كان يرتكز عليها الإستعمار الغربي من أجل طمس الهوية الإسلامية للشعب الجزائري.[2]

ويكفي ما تكلم به الأستاذ توفيق شاهين عن العلامة الإصلاحي المفسر ابن باديس فقال :"وهو مفسر ممتاز له إستقلاله في الفهم والرأي، يقرأ التفاسير ثم يجعل من عقله مصفاة لها، فلا يخرج منها إلا ما صح ونفع ولاءم العصر، وصدق الخبر، مع حسن عرض، واستنباط واع، واستنتاج للعبرة، وحث على سنة، وإخماد لبدعة، في أسلوب عصري، وتطويل غير ممل وإيجاز غير مُخل".[3]

كل هذه المواصفات التي يتميز بها الشيخ العلامة ابن باديس في التفسير الإصلاحي تنطبق على ما قام به شيخنا أبو بكر في تفسيره الإصلاحي، وإن هناك بعض الإختلافات إلا أنهما على العموم يتفقان وهذا ما يؤدي بنا إلى القول أن الشيخ كان وفيا لجمعية العلماء المسلمين يسير بهديها ويعمل بدعوتها في الإصلاح وخاصة في التفسير من أجل إصلاح المجتمع على هدي القرآن الكريم.

---

[1] هذا عشته أنا بنفسي كطالب للقرآن حين كنت أذهب مع شيوخي في هذه المناسبات.

[2] ينظر: أنور الجندي، الفكر الثقافي المعاصر في شمال إفريقيا، ص54-58.

[3] مُحَمَّد بن رزق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، ج1، مرجع سابق، ص223.

خامسا: السيد قطب (1324هـ/1906م-1386هـ/1966م)

هناك أعلام آخرون في التفسير الإصلاحي ظهروا من أمثال السيد قطب إلا أنه نحى منحىً إصلاحيا حركيا كما وُصف من طرف بعض الدارسين لتفسيره[1] وهو خريج مدرسة الإخوان المسلمين التي هي مدرسة إصلاحية ظهرت بحكم الواقع المؤلم للمسلمين في العصر الحديث تدعوا للإقبال على القرآن من أجل دراسته وتدبره وتفسيره حتى يساعدهم على الدعوة والحركة والتربية والإصلاح، فكان من المفسرين البارزين في هذه المدرسة الأستاذ سيد قطب المعروف بكتابه في ظلال القرآن والشيخ سعيد حوّى الذي له تفسير يُسمى الأساس في التفسير، ويسمى هذا الإتجاه كذلك بالإتجاه الدعوي الحركي في هذا الإتجاه يُركز على الدعوة والحركة، وعلى التربية والجهاد والمجاهدة ودعوة المسلمين للحركة بالقرآن، ومجاهدة الكافرين على أساسه وتقديم دروس في الدعوة والجهاد والمواجهة.[2]

سادسا: الشيخ المكي الناصري (1324هـ/1906م-1414هـ/1994م)

ومن بين أعلام التفسير الإصلاحي كذلك الشيخ مكي الناصري الذي كنت أسمع تفسيره وأنا طفل في السنة الرابع عشر من عمري من إذاعة الرباط سنة 1965-1966 وكنت أتلذذ بما أسمعه من الشيخ في تفسيره لأني كنت قد ختمت القرآن وأحب أن أفهم معانيه.

والشيخ المكي الناصري من علماء المغرب وُلد بمدينة الرباط سنة 1324هـ الموافق ل1906م، قام بتأليف عدة كتب قبل الإستقلال وبعد الإستقلال، وقد فاقت الثلاثين ومن أشهر كتبه بعد الإستقلال تفسيره المسمى بالتيسير في أحاديث التفسير وهو في ستة مجلدات[3] إحتوى على مقدمة شرح فيها الطريقة التي سار عليها في تفسيره وكان يرى أن المهمة الكبرى التي يجب أن يُأديها أحاديث التفسير لجمهور المسلمين: "هي وضع أيديهم، كل مطلع فجر

---

[1] ينظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، مرجع سابق، ص564.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص568.

[3] أخذته يوم: 2020/07/25، في الساعة: 48: 04، من موقع "المكتبة الشاملة"، على الشبكة العنكبوتية، من الصفحة الآتية:

https://shamela.ws/index.php/author/2588

على الكنوز التي أودعها الله في القرآن وتذكيرهم بالرسالة الأصلية للقرآن التي هي رسالة الحياة في كل يوم، رسالة التوجيه الإلهي والتربية الربانية، قال تعالى﴿ **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا** ﴾**[الإسراء :9]**".[1]

فالشيخ المكي الناصري هو الآخر يعتمد في تفسيره الإصلاحي على هداية الآيات وهذا ما قاله عنه الدكتور عبد الرزاق هرماس أحد أساتذة جامعة ابن زهر أُقادير: "إن علم التفسير عند الشيخ يقوم على خمس دعامات – وهذا بعد تتبعه لتفسيره – أهمها هي اعتبار القرآن كتاب هداية للناس إلى الله وهدايتهم إلى السلوك الأقوم في الدنيا وإلى النجاة في الآخرة...ومن ثم فكل غرض لا يتعلق بموضوع إظهار الهداية فلا يجب أن يُعدّ من تفسير القرآن".[2]

فهو يتفق مع شيخنا أبي بكر في كون القرآن كتاب هداية وتوجيه وإرشاد وهذا ما رأيناه يقول به أعلام التفسير الإصلاحي الذين تعرضنا إلى ذكرهم، كما أنهم يتفقون كذلك بل يتميزون في تفاسيرهم أنها تُوجّه لسائر الناس مهما اختلفت طبقاتهم وثقافاتهم لأن هدفها الأول هو عامة الناس ممن يحتاجون لتبليغ هدي القرآن بعبارة سلسة وألفاظ متدَاوَلة وأسلوب يسير سهل الفهم، وهذا ما أشار إليه شيخنا في مقدمة تفسيره[3]، كما يتفق معه في تسهيل التفسير التفسير وهذا واضح من خلال تسمية كل منهما على ما يشير إلى ذلك، فالشيخ المكي الناصري يُسمي كتابه في التفسير بالتيسير في أحاديث التفسير وشيخنا أبوبكر يسمي كتابه أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وهذا ما يدل على أن تفاسير أصحاب التفسير الإصلاحي والدعوي تتشابه وفي كثير من الأحيان تتفق ، وكلهم مُجمعون على أن القرآن كتاب هداية للناس أجمعين.

سابعا: الشيخ مُحَمَّد علي الصابوني

ومن أعلام التفسير الإصلاحي الشيخ مُحَمَّد علي الصابوني الذي عشت مع تفسيره صفوة التفاسير سنوات بحيث كان لي سندا في إلقاء الدروس المسجدية.

---

[1] مُحَمَّد مكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج1، ص7.

[2] ينظر: عبد الرزاق هرماس، النزعة الإصلاحية المعاصرة في التفسير بالغرب الإسلامي، ص125/124.

[3] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1،مرجع سابق، ص 7/6/5.

ولد الشيخ مُحَمَّد علي الصابوني بحلب أحد مدن سوريا سنة 1930م وكان من حفظة كتاب الله كما كان يجمع بين الدراسة الدينية والعلمية بحيث درس زيادة على الدراسة الشرعية الفيزياء والكيمياء والهندسة والجبر والتاريخ والجغرافيا، وبعد أن درّس لمدة طويلة في الجامعة قرُابة الثلاثين سنة بمكة المكرمة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية تفرّغ للتأليف فأنتج كثيرا من التآليف المفيدة منها : مختصر ابن كثير ، روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، المواريث في الشريعة، وتفسيره المشهور صفوة التفاسير وغيرها من المؤلفات.

وكعادة الدعاة كان يُلقي الشيخ درسا يوميا بالحرم المكي كما كان يُلقي أسبوعيا بأحد مساجد جدة بالمملكة العربية السعودية في تفسير آيات القرآن الكريم.[1]

فهاهو شيخنا مُحَمَّد علي الصابوني يُسهم هو الآخر بتفسيره صفوة التفاسير في التفسير الإصلاحي من أجل إنارة الطريق المستقيم لأهل عصره وخاصة الشباب المتعطّش لمعرفة كتاب الله عزّ وجل، وهو هنا يشارك أخاه الشيخ أبا بكر في فكرة تسهيل التفسير للناس حتى يستوعبوا ويفهموا كتاب الله، فنراه يقول عن تفسيره بنفسه في مقدمته الرائعة: بأن المسلم في عصرنا الحاضر قد انشغل اضطرارا في تحصيل معاشه وضاقت أيامه للرجوع إلى التفاسير الكبيرة التي خدم بها أسلافنا كتاب الله عز وجل، فهو يرى أنه من واجب العلماء تسهيل هذا الأمر لهم الذي هو تبيان ما جاء في كتاب الله عز وجل، فيقول: "فإن من واجب العلماء اليوم أن يبذلوا جهدهم لتيسير فهمه على الناس بأسلوب واضح، وبيان ناصع، لا حشو فيه ولا تطويل، ولا تعقيد ولا تكلّف، وأن يُبرزوا ما في القرآن من روعة الإعجاز والبيان، بما يتّفق وروح العصر الحديث ويلبّي حاجة الشباب المثقّف المتعطّش إلى التزود من علوم ومعارف القرآن الكريم".[2] فالشيخان يتفقان على تسهيل أمر التفسير حتى يصل إلى الجميع وخاصة عامة الناس، وهذا ما لاحظناه عند الشيخ أبو بكر في مقدمته،[3] وعند لشيخ علي الصابوني في مقدمته كذلك.

---

[1] ينظر: أخذته يوم: 06/08/2020، في الساعة: 15:10، من موقع "المكتبة الشاملة"، على الشبكة العنكبوتية، من الصفحة الآتية:

https/shamela.ws/index.php/author/1318

[2] ينظر: مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص20.

[3] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، مرجع سابق، ص7/6.

فمن خلال هذه الدراسة الخفيفة والسريعة لبعض أعلام التفسير الإصلاحي تبين لنا أنهم تقريبا يُجمعون على أن التفسير الإصلاحي يجب أن يتوجّه به إلى جميع الناس حتى يعمّ الفهم لكتاب الله والعمل به والحياة عليه عقيدةً وعبادةً وخلقاً وأدباً وقضاءً وحكماً لذا يجب أن يكون سهلاً واضحاً في متناول المثقّفين وعامّة النّاس أجمعين.

خلاصة

إنما رأينا في المبحث الأول من خلال مطالبه الثلاثة سواء في مطلب التعريف بالشيخ أبي بكر أو مطلب كتابه أيسر التفاسير أو مطلب التفسير الإصلاحي خصائصه وأعلامه كل ذلك يمثّل الجهود العظيمة التي قام بها في حياته التي كانت بالفعل تعبّر عن جهاد في سبيل إعلاء كلمة الله بدءا من تعلمه العلم في صغره إلى أن أصبح عالما عاملا بعلمه ما توانى عن نشر العلم بإلقاء الدروس في أعظم مسجد هو الحرم النبوي بعد الحرم المكي وإلقاء المحاضرات العلمية بصفته أستاذا جامعيا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة من أجل تخريج العلماء والدعاة وهم كثيرون في للدعوة في العالم الإسلامي وتآليفه التي قاربت أو فاقت المائة كتاب ختمها بأعظم إنجاز وهو تفسيره المسمّى بأيسر التفاسير والذي توفرت فيه أهم خصائص التفسير الإصلاحي وخاصة ميزة هداية الآيات التي انفرد بها عن غيره من المفسرين الإصلاحيين الذين تأثر بتفاسيرهم وعلى وجه الخصوص تفسير المنار الذي قال عنه أنه قرأه أكثر من أربع مرات[1]، وأضاف إلى هذه الخصائص ميزتين تميز بهما تفسيره عن غيره من التفاسير الإصلاحية السابقة، ميزة التبسيط والسهولة من أجل تيسير الفهم للجميع، ثم ميزة إفراد عنصر هداية الآيات لكل مقطع يفسره كما قال :"ذلك طلبا لوحدة الموضوع وارتباط المعنى به".[2]

هذه هي جهوده بصورة عامة، فماهي جهوده في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب العقدي من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام؟ هذا ما سنعالجه في المبحث الثاني.

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج2، مرجع سابق، ص1799.

[2] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، مرجع سابق ص7.

المبحث الثاني: جهود الشيخ أبي بكر جابر الجزائري في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب العقدي

المطلب الأول:شرح مصطلحات المبحث

المطلب الثاني: هداية الآيات في الجانب العقدي من سور الفاتحة والبقرة وآل عمران.

المطلب الثالث: هداية الآيات في الجانب العقدي من سورة النساء و المائدة والأنعام.

المبحث الثاني: جهود الشيخ أبي بكر جابر الجزائري في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب العقدي

إن جهود الشيخ أبي بكر جابر الجزائري كثيرة في ميدان الدعوة والإصلاح والتفسير الإصلاحي، كما رأينا في المبحث الأول، والذي يهمنا في هذا المبحث هو جهوده في التفسير الإصلاحي من خلال عنصر هداية الآيات في الربع الأول من القرآن الكريم أي: من سورة الفاتحة إلى سور الأنعام في **الجانب العقدي**.

هذه الهدايات للآيات كثيرة جدا وعليه فإني سأقتصر على أخذ أمثلة من هذه الهدايات للآيات من كل سورة في هذا الربع للقرآن الكريم لأبين جهوده في التفسير الإصلاحي من خلالها.

فما هو أهم مجال إهتم به الشيخ في جهوده في التفسير الإصلاحي من خلال عنصر هداية الآيات؟

فالمتتبع لتفسيره والمستقرئ له في هداية الآيات من الربع الأول يجده قد اهتم بالجانب العقدي، لإنه الأهم وهذا ما أشار إليه في قوله: "هذا ونظرا لليقظة الإسلامية اليوم فقد تعين وضع تفسير سهل ميسر يجمع بين المعنى المراد من كلام الله و بين اللفظ القريب من فهم المسلم اليوم، تبيّنُ فيه **العقيدة السلفية المنجية**".[1]

هذا ما سنعرفه في المبحث في هذا المبحث- وبالله التوفيق- وقبل أن نتطرق إلى المطالب التي يقتضيها هذا المبحث، لابد لنا أن نذكّر بالاتجاه السلفي في ميدان الإصلاح وما يهدف إليه.

إن هذا الإتجاه أراد أن يرجع الناس إلى هدي القرآن والسنة النبوية الشريفة – وذلك بسبب ظهور الفساد في ميدان العقيدة والتربية مما أدى إلى فساد المجتمع – في مختلف ميادين حياتهم حتى يسعدوا في الدنيا والآخرة، لهذا نرى شيخنا أبابكر جابر الجزائري ينطلق من المصدر الأول

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص5.

وهو كتاب الله عز وجل من أجل إصلاح ما فسد عند الناس في حياتهم وذلك من خلال استنباط هداية الآيات من سور القرآن الكريم بعد تفسيرها، ونراه اهتم بالجانب العقدي في كل هذه السور للربع الأول وهذا ما سنراه في المطالب التالية في هذا المبحث.

المطلب الاول: شرح مصطلحات المبحث.

سبق أن تعرضنا إلى مفهوم التفسير ومفهوم الإصلاح في المبحث الأول وهنا سنتعرض إلى مفهوم الجهود ومفهوم هداية الآيات ومفهوم الجانب العقدي.

الفرع الأول: مفهوم الجهود.

أ- تعريف الجهد لغة:[1]

الجهود جمع جهد، جاء في معجم مقاييس اللغة ما يلي:

جهد: الجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثم يحمل عليه ما يقاربه، يقال: جاهدت نفسي واجهدت، والجهد: الطاقة، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ**﴾[التوبة :79]،

وجاء في معجم مفردات الفاظ القرآن ما يلي:

جهد: الجَهْدُ والجُهْدُ الطاقة والمشقّة وقيل الجَهْدُ بالفتح المشقة والجُهْدُ الواسع وقيل الجُهْدُ للإنسان، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ**﴾[التوبة :79]، وقال أيضا: ﴿ **وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**..﴾[الأنعام :109]، أي حلفوا واجتهدوا في الحلف أن يأتوا به على أبلغ ما في وسعهم، والإجتهاد أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، يقال جاهدت رأيي وأجهدته أتعبته بالفكر.[2]

وجاء في مختار الصحاح ما يلي:

ج هـ د-(الجُهْدُ) بفتح الجيم وضمها الطاقة وقرِئ بهما قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ**﴾[التوبة :79]، والجَهْدُ بالفتح المشقة يقال : جاهد دابته وأجهدها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها وجَهد الرجل في كذا أي جد فيه وبالغ وجُهِدَ الرجل فهو مجهود من

[1] أحمد ابن فارس ابن زكريا، مقاييس اللغة، ص177.

[2] الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، مرجع سابق، ص99.

المشقّة، وجاهد في سبيل الله مجاهدة وجهادا والاجتهاد والتجاهد بذل الوسع والمجهود والتجاهد بذل الوسع والمجهود.[1]

وجاء في لسان العرب ما يلي:

جَهَدَ الجَهدُ والجُهدُ :الطاقة، تقول: أجهد جهدك؛ وقيل: الجَهْدُ المشقّة والجُهْدُ الطاقة، قال ابن الأثير: قد تكرر لفظ الجَهْدِ والجُهْدِ في الحديث، وهو بالفتح المشقّة، وقيل المبالغة والغاية، وبالضم الوُسع والطاقة.

وقال الأزهري: الجَهْدُ بلوغك غاية الأمر الذي لا تألو على الجهد فيه؛ تقول: جاهدت جهدي واجتهدت رأيي ونفسي حتى بلغت مجهودي وقال ابن السكيت؛ الجَهْدُ الغاية، وقال الفراء: بلغت به الجَهدَ لي الغاية، وجَهَدَ الرجل في كذا أي جدّ فيه وبالغ.[2]

وجاء في المعجم الوسيط ما يلي:

جَهَدَ جَهدا: جدّ ويقال: جَهَدَ في الأمر، وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ**..﴾[الأنعام :109]، الجَهْدُ: المشقة، والجَهْدُ النهاية والغاية، والجهد الوسع والطاقة، ويقال جَهدٌ جاهد، والجهد في الفلسفة كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسميا أو عقليا ويهدف غالبا إلى غاية (مجمع اللغة العربية).

الجُهدُ: الوُسع والطاقة، وفي التنزيل العزيز:﴿ **وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ**﴾[التوبة :79].[3]

ب- تعريف الجهد اصطلاحا:

ويستفاد من كل ما جاء في التعريف اللغوي أن الجهد معناه بذل الطاقة وما في الوسع من أجل الوصول إلى غاية وكما يقول أصحاب الفلسفة حسب ما جاء في المعجم الوسيط أن الجهد هو كل نشاط يبذله الكائن الواعي جسميا أو عقليا ويهدف غالبا إلى غاية.

وأقر مجمع اللغة العربية أن الجهد هو الوسع والطاقة.[4]

---

[1] مُحَمَّد ابن ابي بكر ابن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، ص114.

[2] ابن منظور، لسان العرب، ص 709/708.

[3] ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، ص142.

[4] المرجع نفسه، ص 142.

ومن خلال ما سبق نقول بأن التعريف الإصطلاحي للجهد الذي يجمع على الجهود هو كل نشاط يقوم به الكائن الحي الواعي جسميا أو عقليا ويهدف إلى تحقيق غاية غالبا.

والذي يعنينا من كل هذا هو أن الجهد هنا في بحثنا هذا هو ما بدله الشيخ أبوبكر جابر الجزائري من طاقة وما في وسعه من جهد عقلي في التفسير الإصلاحي من أجل استنباط هداية الآيات التي شرحها وفسرها في الجانب العقدي ليفيد بها كل من قرأ تفسيره فيتزود بإرشادات قرءانية تفيده في حياته حتى يسعد في الدنيا والاخرة.

الفرع الثاني: مفهوم هداية الآيات.

أولا: تعريف الهداية.

أ– تعريف الهداية لغة: الهداية من هَدَى يَهْدي هِداية وهدَيْته الطريق والبيت هداية عرّفته هذه لغة أهل الحجاز.[1]

هدى: الهاء والدال والحرف المعتل: أصلان إحدهما التقدم للإرشاد والآخر بعثة لطف.

فالأول قولهم :هديته الطريق هداية أي تقدمته لإرشاده.

وكل متقدم لذلك هاد قال:

اذا كان هادي الفتى في البلا *** د صدر القناة اطاع الأميرا.[2]

هَدى فلان، هَدى هَدْيا وهداية: استرشد ويقال هدى فلانا هدي فلانٍ: سار سيره، وهدى فلانا: أرشده ودله، وفي التنزيل العزيز قال تعالى: ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى**﴾[الضحى: 7]، وهدى فلانا الطريق، وله وإليه: عرفه وبينه له. وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾[البلد :10]، وفيه أيضا: ﴿...**وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ** ﴾[ص: 22].[3]

والهداية بمعنى الدلالة، وهداية الله للإنسان هي على أربع، أولا : هداية مشتركة للإنسان وكل مخلوق قال تعالى: ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [طه :50].

[1] ابن ابي بكر ابن عبد القادر الرازي،مختار الصحاح، مرجع سابق، ص692.

[2] ابو الحسين احمد ابن فارس ابن زكرياء، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص933.

[3] ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، مرجع سابق، ص978.

ثانيا: هداية ارشاد وتوجيه وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا**﴾ [الأنبياء :73]، وهذه يقوم بها الأنبياء و يرثهم فيها العلماء، ثالثا :هداية توفيق وهي خاصة بالله تعالى وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ [مُحَمَّد :17].

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [التغابن :11]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ**﴾ [يونس :9]، وقوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت :69]، وقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [البقرة :213]، رابعا : والهداية في الآخرة الى الجنة، قال تعالى:﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا**﴾ [الأعراف :43]، وقوله تعالى ﴿**سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ**﴾ [مُحَمَّد :5]. [1]

وجاء في تفسير الشوكاني فتح القدير أن الهداية هي الإرشاد أو التوفيق أو الإلهام أو الدلالة.[2]

ويستخلص من كل هذا أن الهداية بمعنى الدلالة وبمعنى البيان الإرشاد وبمعنى التوفيق، فأما المعنى الأول فيقوم به كل الناس والثاني يقوم به الأنبياء والعلماء والتوفيق هو من الله وحده.

ب– تعريف الهداية اصطلاحا: يقول الشيخ أبو بكر جابر الجزائري في شأن الهداية:" الهداية نوعان هداية بيان وإرشاد وهذه تطلب من ذوي العلم فهم يبينون للسائل طرق الخير ويرشدونه إليها، هداية توفيق إلى اعتقاد الحق ولزمه في الإعتقاد والقول والعمل وهذه لا تطلب إلا من الله تعالى ومنها هذه الدعوة لقوله تعالى: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾[الفاتحة :5].

ويشهد للهداية الأولى وهي هداية البيان قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[الشورى :52].

ويشهد للهداية الثانية قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾ [القصص :56].

[1] ينظر: الراغب الاصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص536.

[2] مُحَمَّد علي بن مُحَمَّد الشوكاني، فتح القدير، ص22.

فأثبت الله لنبيه ﷺ هداية البيان ونفى عنه هداية التوفيق وهي الهداية القلبية الباطنة.[1]

من خلال ما رأينا عند أهل اللغة في مختصر الصحاح أو في المعجم الوسيط أو في معجم مفردات ألفاظ القرآن أو للمفهوم الاصطلاحي للهداية عند الشيخ أبي بكر؛ نجد مفهوم الهداية متقارب لا يخرج عن هذه المفاهيم التالية، الهداية بمعنى الدلالة، والهداية بمعنى التوفيق.

المفهوم الأول مفهوم لغوي معروف عند العرب والمفهوم الثاني كان مفهوما عند العرب إلا أن القرآن زاده معنى جديدا وهو الإرشاد إلى الحق الذي يريده سبحانه وتعالى، وجاء به سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وأما الهداية بمعنى التوفيق فهذا معنى جديد جاء به الاسلام وهو مفهوم عقدي لا يدركه إلا أهل التوحيد أهل الايمان بالله عز وجل، والذي يعنينا في بحثنا هو مفهوم الهداية والإرشاد.

يقول الدكتور مُحَمَّد الدراجي: فيجب أن يكون الغرض الأساسي الذي يستهدفه المفسر هو تجلية الهداية القرآنية في شتى مجالات الحياة وعرض واقع المسلمين على القرآن الكريم، لنرى مدى القرب أو البعد من تعاليم القرآن الكريم وتوجيهاته.[2]

وتجلية الهداية القرآنية تعني توضيح وإظهار ما ترشد إليه الآيات في القرآن الكريم حتى يفهمها المسلم ويعمل بها في حياته وهذا هو المراد.

إذن الهداية في القرآن الكريم هي البيان والإرشاد والتوجيه وهذا ما يعنيه الشيخ أبوبكر جابر الجزائري فيما يسميه هداية الايات.

ثانيا: تعريف الآية.

تعريف الآية لغة: جاء في مقاييس اللغة (وقالوا الآية: العلامة، وهذه ءاية مااياة،كقولك: علامة معلمة، قال:

ألا أبلغ لديك بني تميمٍ *** بآية ما تحبون الطعاما

قال الخليل: خرج القوم بئايتهم، أي: بجماعتهم ومنه ءاية القرآن؛ لأنها جماعة حروف، والجمع آي.[3]

[1] أبوبكر جابر الجزائري ،هامش أيسر التفاسير (نهر الخير)،ج1، مرجع سابق، ص14.

[2] ينظر: مُحَمَّد دراجي ، محاضرات في علم التفسير و مناهج المفسرين، ص227/226.

[3] أبو الحسين أحمد ابن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص64.

قال صاحب مختار الصحاح: الآية العلامة والجمع آي وآياي وآيات، وخرج القوم بئايتهم أي بجماعتهم ومعنى الآية من كتاب الله "جماعة حروف"[1]

وجاء في المعجم الوسيط الآية :العلامة و الإمارة و العبرة قال تعالى: ﴿ **فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً**﴾[يونس :92]، والمعجزة قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً** ﴾[المومنون :50]، وءاية من القرآن: جملة أو جمل أثر الوقف في نهايتها غالبا، وفي التنزيل العزيز: ﴿ **وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[النحل :101]، جمع آي.[2]

والذي يهمنا من هذه التعاريف لأصحاب المعاجم هو ما أجمعوا عليه في قولهم في أن الآية من القرآن الكريم، وهي جملة أو جمل أثر الوقف في نهايتها غالبا، وهاته التي يهتم بها الشيخ أبوبكر لاستخراج الهداية منها ليفيد بها من يقرأ تفسير من أجل احداث تغيير فيه كما قال هو عن نفسه "للفهم والاعتقاد ثم العمل" قصد إصلاح الفرد والمجتمع.

ب– تعريف الآية اصطلاحا: هذا ما سنعرفه من خلال ما قاله الشيخ أبوبكر جابر الجزائري في تفسيره "أيسر التفاسير"، والآية في القرآن الكريم: "جملة من كلام الله تعالى تحمل الهدي للناس بدلالتها على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه، وعلى نبوة مُحَمَّد ﷺ ورسالته".[3]

وخلاصة القول في مفهوم هداية الايات يعني ارشاد الناس الى ما فيه سعادتهم وانتظام أمورهم في الدنيا وإلى ما فيه فوزهم ونجاتهم في الآخرة من خلال ما جاء في هذه الآيات.

ومن هنا انطلق الشيخ أبوبكر جابر الجزائري في استنباط ما فيه ءايات القرآن من هدايات يتوجه بها للناس لعلهم يقرؤونها ويفهمونها ويعتقدونها ويعملون بها فيسعدون في الدنيا والاخرة.

الفرع الثالث: مفهوم الجانب العقدي او العقائدي.

أولا: تعريف الجانب.

أ– تعريف الجانب لغة: الجانِب والجنبة :الناحِية.[4]

---

[1] مُحَمَّد ابن أبي بكر ابن عبد القادر الرازي ،مختار الصحاح، مرجع سابق، ص37.

[2] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، جزء1، مرجع سابق، ص35.

[3] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، ص11.

[4] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، جزء1، ص138.

ب- تعريف الجانب اصطلاحا: ومن الناحية الإصطلاحية يقال الحق من جانبك أي في جهتك من ناحيتك والمعنى اللغوي هو نفسه الإصطلاحي إلا إن الإصطلاح هو في الناحية المعنوية.

ثانيا: تعريف العقيدة.

أ-تعريف العقيدة لغة: جاء في المعجم الوسيط ما يلي: العقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الإعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثة مُحَمَّد ﷺ،[1] وجاء في كتاب نظرات في الثقافة الاسلامية ما يلي :العقيدة في اللغة لها عدة معاني، فتأتي بمعني الصدق والثبات تقول اعتقِد بينهما الإخاء أي صدق وصلب، وتأتي بمعنى الصلابة تقول: أعتقد النّوى أي صلب، وتأتي بمعنى اللزوم مثل: الخيل معقود في نواصيها الخير أي: ملازم.

فأساس التسمية في اللغة هو ما انعقد عليه القلب.[2]

ب- تعريف العقيدة إصطلاحا: العقيدة الإسلامية هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، والعقيدة هي فكرة كلية عن الكون والإنسان وعن ما قبل الحياة الدنيا وهو الإيمان بالله تعالى وعن ما بعدها وهو الإيمان باليوم الآخر وعن علاقتها بما قبلها وهي الخلق وبما بعدها وتشمل الإيمان بالملائكة والأنبياء والكتب المنزلة.[3]

ويعرفها الشيخ أبوبكر بقوله: "العقيدة هي مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازما، قاطعا بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدا".[4]

وهذا التعريف هو صحيح مع ما يعتقده المسلم في دينه دين التوحيد الذي لا يؤمن إلا بالله سبحانه أنه رب السماوات والأرض وما فيهن ورب ما يدرك وما لا يدرك لأن الإنسان قاصر وعليه فلا بد من التفويض لله وحده وهذا الإيمان الجازم القاطع هو وحده الذي يحميه

[1] إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مرجع سابق، ج2، ص614.

[2] عز الدين الخطيب التميمي، نظرات في الثقافات الاسلامية، ص59.

[3] المرجع نفسه، ص 59.

[4] أبوبكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص20.

من كل شيء فيجعله مطمئنا يسير في هذا الكون بخطى ثابتة يدري من أين جاء وإلى أين يصير .

وبعد أن وضّحنا مصطلحات المطلب يسهل علينا مفهوم الجانب العقدي ومن خلال التعاريف للجانب وللعقيدة نخلص للمفهوم التالي: الجانب العقدي أي ناحية العقيدة أي الجانب الايماني ويتلخص في ما جاء به الحديث الشريف عن عمر ﷺ قال: "... **قال فأخبرني عن الإيمان قال :أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**"[1]، وهذا هو المفهوم الذي نهدف إليه ويقصده شيخنا أبوبكر جابر في كلامه عن هداية الآيات في الجانب العقدي ومنه فإننا اذا تناولنا أمثلة عن هداية الآيات من الجانب العقدي فإننا سنتعرض لهذه الأركان الإيمانية الستة، وهذا ما يركز عليه الشيخ أبوبكر في تناوله لهداية الجانب العقدي لأنه يعلم أن الاصلاح يبدأ من الناحية العقدية أولا، وما الانحراف الذي ابتليت به الأمة الإسلامية إلا في هذا الجانب ولهذا نرى القرآن المكي ضل ثلاثا وعشرين سنة يركّز عليها ويذكر بها القرآن المدني ويؤكدها لأنها معناه الولاء الكامل والتام لله عز وجل وهذا ما نراه أشار إليه الشيخ أبو بكر جابر في مقدمة تفسيره.[2]

كان الشيخ أبوبكر يهدف من وراء استخراج هداية الآية والآيات إلى فهمها من طرف القارئ قصد اعتقادها والعمل بها.

قال الشيخ في مقدمة كتابه أيسر التفاسير"...ثم أذكر هدايتها المقصودة منها للإعتقاد والعمل ..."[3] وهذا من أجل التغيير في سلوك القارئين لهذه الهدايات سواء في الجانب العقدي أو التربوي وبالتالي الجانب الاجتماعي، حتى يعود هذا المجتمع إلى ربه كما كان أيام زمان رسول الله ﷺ وصحابته وهذا ما يهدف إليه الشيخ من خلال هذه الجهود، لذا نراه اهتم كثيرا باستخراج هداية الآيات.

---

[1] الألباني، تخريج كتاب السنة، ص 172.

[2] ينظر: الشيخ أبوبكر جابر في مقدمة تفسيره ،ج1، مرجع سابق، ص7/6/5.

[3] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، ص7.

المطلب الثاني: هداية الآيات في الجانب العقدي من سورة الفاتحة و البقرة وآل عمران

الفرع الأول: أمثلة من سورة الفاتحة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾

إنها أعظم سورة في القرآن الكريم[1] استنبط منها الشيخ أبوبكر جابر الجزائري في الجانب العقدي ما يلي:

أولا: هداية السورة:

– أن الله تعالى يحب الحمد، فلذا حمد تعالى نفسه وأمر عباده به.

– أن المدح يكون لمقتضٍ، وإلا فهو باطل وزور، فالله تعالى لما حمد نفسه ذكر مقتضى الحمد وهو كونه رب العالمين والرحمن الرحيم ومالك يوم الدين.

– آداب الدعاء حيث يقدم السائل بين يدي دعائه حمد الله والثناء عليه وتمجيده. وزادت السنة الصلاة على النبي ﷺ.

– أن لا يعبد غير ربه. وأن لا يستعينه إلا هو سبحانه وتعالى.

– الترغيب في دعاء الله والتضرع إليه، وفي الحديث: "الدعاء هو العبادة".

– الاعتراف بالنعمة.

– طلب حسن القدوة.

– الترغيب في سلوك سبيل الصالحين، والترهيب من سلوك سبيل الغاوين.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج: نلاحظ أن هداية الآيات فيها عقدية صرفة في الأولى ثم عقدية ممزوجة بتوجيه ربّاني يقوم به المؤمنون اتجاه ربهم طالبين الإستعانة منه وحده راجين هدايتهم منه إلى الصراط المستقيم الذي سار عليه الذين أنعم الله عليهم ويبعدهم طريق الضالين.

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ج1، مرجع سابق، ص15.

كل هذا من اجل إصلاح شأن العقيدة التي بدأ يشوبها الإنحراف قال الشيخ أبوبكر جابر الجزائري :"...والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعونه بأعلى أصواتهم : يا سيدي ! يا سيدي! كذا وكذا ولا يجرأ أحد أن يقول : يا إخواننا لا تدعوا السيد فإن الله تعالى يقول: ﴿**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا**﴾[الجن :18].[1]

"وهذا سببه عدم فهم القرآن وما جاء في سورة الفاتحة التي يرددها المصلي في اليوم سبع عشر مرة وهو لا يعي ما يقول.

من أجل هذا انبرى شيخنا بتفسيره الإصلاحي من أجل إعادة العقيدة الصحيحة في أذهان الناس فيعود التوحيد إلى هذه المجتمعات التي تخلّفت في كل شيء حتى تعود من جديد إلى التوحيد الخالص فتسعد في الدنيا والآخرة.

وليس غريبا أن تكون هداية الآيات فيها ركزت على الجانب العقدي لأنها سورة مكية والقرآن المكي كما أجمع أهل العلم أنه ركّز على العقيدة أي التوحيد لأنها هي الأساس الأول في بناء المجتمع المسلم الجديد الذي جاء ليكون نموذجا للعالم كله في توحيد الله عز وجل.

الفرع الثاني : أمثلة من سورة البقرة:

إنها أطول سورة في القرآن الكريم ولها فضل عظيم وهي مدنية فيها هدايات كثيرة ورغم مدنيتها وردت فيها هداية الآيات العقدية.

ومن المعلوم أن السور المدنية تعالج قضايا المجتمع الإسلامي الجديدة على أساس عقدي، مجتمع يدين لله سبحانه بالتوحيد وبالتالي فإنه ينطلق من تشريع أمر به الله عز وجل انطلاقا من قوله سبحانه: ﴿ ...**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [يوسف :40].

المثال الأول: من سورة البقرة: نجد أول هداية يستنبطها الشيخ من الآية الثانية لسورة البقرة :﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ**﴾[البقرة :2].

أولا: هداية الآية

– تقوية الإيمان بالله تعالى وكتابه ورسوله، الحث على طلب الهداية من الكتاب الكريم.

[1] المرجع السابق، ص5.

- بيان فضيلة التقوى وأهلها.

ثانيا : الإيضاح و التحليل و الاستنتاج

هذه الهدايات العقدية التي استخرجها الشيخ من الآية الأولى من سورة البقرة تؤكد على أنه لا تربية ولا سلوك حسن ولا مجتمع قائم بدون عقيدة التوحيد، وهذا أساس إصلاح المجتمع ولن تقوم قائمة لمجتمع غير موحد وأكبر دليل على ذلك ما هو حاصل اليوم في هذه المجتمعات الضالة التي تعتقد أنها متقدمة تكنولوجيا لكنها مخربة أخلاقيا لأنها لا تقوم على أساس التقوى وهذا ما أشارت إليه الآية التي استخرجت منها هذه الهدايات العقدية التي تنص على طلب الهداية من الكتاب الكريم.[1]

المثال الثاني: من سورة البقرة :

هداية عقدية يسوقها الشيخ و ما أحوج الناس إليها في الوقت الحاضر من خلال الآيتين :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[البقرة :6-7].

أولا :هداية الآيتين

- بيان سنة الله تعالى في أهل العناد والمكابرة والإصرار بأن يحرمهم الله تعالى الهداية، وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا.

- التحذير من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم.

ثانيا: الإيضاح و التحليل و الاستنتاج

وكأني بالشيخ في هذه الهداية يوصل الرسالة للناس بأن الإنسان يجب أن يستعمل ما وهبه الله من حواس و عقل في معرفة الله تعالى ومن ثم توحيده وإلا حرم الهداية وضاق صدره فأصبح كما وصفه القرآن: **﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [الأنعام :125]، بعكس مَن يتقبل

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، مرجع سابق، ص16.

هداية الإرشاد يوفقه الله للهداية الربانية: ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ** ﴾ [الأنعام :125].

المثال الثالث: من سورة البقرة: آية الكرسي

قال الله تعالى ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة :255].

أولا: هداية الآية:

– أنها أعظم آية في كتاب الله تعالى اشتملت على ثمانية عشر إسماً لله تعالى ما بين ظاهر ومضمر، وكلماتها خمسون كلمة وجملها عشر جمل كلها ناطقة بربوبيته تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته الدالة على كمال ذاته وعلمه وقدرته وعظيم سلطانه.

– تستحب قراءتها بعد الصلاة المكتوبة، وعند النوم، وفي البيوت لطرد الشيطان.

ثانيا: الإيضاح و التحليل و الاستنتاج

وهنا شيخنا يرشدنا ويوجهنا في هذه الهداية لأعظم آية في كتاب الله عز وجل حتى نرتبط بذكره سبحانه وتعالى قال الله تعالى ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد :28].

فبعد أن شرحها وبين معانيها أرشدنا كذلك إلى قراءاتها عند دبر كل صلاة وعند النوم وفي البيت من أجل إبعاد الشيطان الذي أمرنا الله أن نستعيذ منه وخاصة عند بدء التلاوة قال تعالى: ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾[النحل :28].

وهذا من أجل أن يبقى الفرد المسلم موصولا بربه بل كل أفراد الجماعة المسلمة موصولة بربها لا تنقطع عن المنهج الرباني.

إن الفرد المسلم الموحد الذي قلبه متعلق بربه كالبنيان المرصوص الذي لا ينفك عن بعضه البعض ثابت على دينه مهما كانت الظروف ومهما تعرض إلى المحن والمصائب كما

وصفه ربه بقوله تعالى﴿... **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[البقرة :155-156].

وهذا ما يهدف إليه أصحاب التفسير الإصلاحي في تجلية ما ترمي إليه هداية آيات القرآن الكريم.[1]

والشيخ أبوبكر جابر الجزائري كان من أعلام التفسير الإصلاحي في إبراز هداية الآيات في كل سورة من تفسيره أيسر التفاسير.

المثال الرابع من سورة البقرة: هداية الآيتين الأخيرتين:

قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة :285-286].

أولا: هداية الآيتين

- تقرير أركان الإيمان وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله.
- وجوب الإيمان بكافة الرسل وحرمة الإيمان ببعض وترك البعض وهو كفر والعياذ بالله تعالى.
- وجوب طاعة الله ورسوله والتسليم والرضا بما شرع الله ورسوله وحرمة رد شيء من ذلك.

ثانيا: الإيضاح و التحليل و الاستنتاج

هذه الأمثلة من هداية الآيات في الجانب العقدي دليل قاطع على اهتمام الشيخ بإبرازه في سورة الفاتحة والبقرة في تفسيره الإصلاحي لمؤشر على بذل الجهود من أجل إحداث تغيير إيجابي في الفرد والمجتمع وهو يتمثل في إصلاح العقيدة التي هي الركيزة الأساسية في قيام المجتمع المسلم الذي لا يدين إلا لله تعالى بذلك يتطهر ويرقى ويسهل عليه الإمتثال لربه وليس ما هو حاصل اليوم في التمرد والعناد والبعد عن الله عز وجل فظهر الفساد قال تعالى: ﴿ **ظَهَرَ**

[1] ينظر:محمد دراجي، محاضرات في علم التفسير و مناهج المفسرين، مرجع سابق، ص.177

الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[الروم :41].

فجهود الشيخ أبوبكر ركزت أولا على إبراز الجانب العقدي وتوضيحه لأنه يعلم أن إصلاح الفرد والمجتمع لا يتم إلا به.

الفرع الثالث : أمثلة من سورة آل عمران

سورة آل عمران هي من السور المدنية الطويلة، اشتملت على ركنيين أساسيين من أركان الدين و هما ركن العقيدة وإقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى والثاني هو التشريع خاصة مايتعلق بالمغازي والجهاد في سبيل الله[1]، وهذا ما يؤكد أمر العقيدة الذي هو الأساس في الدين الإسلامي، ولهذا سنرى شيخنا في هذه السورة يبرز هذا الأمر في هداية الآيات الأولى التي ابتدأت بها السورة.

المثال الأول: من سورة آل عمران

قال الله تعالى ﴿الم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ والإنجيل مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران :1-6]

أولا: هداية الآيات:

- تقرير ألوهية الله تعالى بالبراهين ونفي الألوهية عن غيره من سائر خلقه.
- ثبوت رسالة النبي مُحَمَّد ﷺ بإنزال الله تعالى الكتاب عليه.
- إقامة الله تعالى الحجة على عباده بإنزال كتبه والفرقان فيها بيان الحق والباطل في كل شؤون الحياة.

-بطلان ألوهية المسيح؛ لأنه مخلوق مصور في الأرحام كغيره صوره الله تعالى على ما شاء فكيف يكون بعد ذلك إلهاً مع الله أو ابناً له تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا.

[1] ينظر: الشيخ مُحَمَّد علي الصابوني ،صفوة التفاسير، ج1، ص189.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج

هذه الهداية تقرر مع التأكيد على وحدانية الله عز وجل وأنه ليس هناك إله غير الله الحي القيوم قال الله تعالى ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [آل عمران :2]، وهنا لفتة تتمثل في نفي الألوهية عن غيره من سائر خلقه بتوكيد أمر توحيد الله عز و جل.

فمطلع هذه السورة انفرد عن غيره من السور الأخرى التي كان لها مطلع مثلها ﴿ألم﴾، وذلك بالفصل بين الحروف المقطعة والحديث عن القرآن الكريم بالتأكيد على وحدانية الله تعالى أنه الحي القيوم قال تعالى ﴿**أَلم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، بينما في السور الأخرى التي تبدأ بهذه الحروف المقطعة يأتي الحديث عن القرآن الكريم مباشرة بعد الأحرف.[1]

ثم يتكلم الشيخ أبوبكر في هداية هذه الآيات عن ثبوت رسالة مُحَمَّد ﷺ بإنزال الكتاب عليه بقوله: ﴿**نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ** ﴾[آل عمران :3]، بذلك قطع أي شك وبهذا الإرشاد الذي قام به الشيخ في هذه المسألة العقدية وهي إثبات نبوة مُحَمَّد ﷺ والإيمان بالقرآن الذي نزَل عليه أمر أصبح لا يعتريه أي ريب وهذا ما أشارت إليه سورة البقرة وأكدته سورة آل عمران وكأن السورتين تتمم بعضهما البعض فنجد:

سورة البقرة	سورة آل عمران
﴿ **ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ**﴾	﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾

ففي سورة البقرة ذكر الكتاب بأنه لا شك فيه ،ونرى سورة آل عمران تؤكد على أن هذا الكتاب هو الحق وهو مصدق لما بين يديه.

وهذا التنسيق والتكامل بين السورتين البقرة وآل عمران في توضيح جانب من جوانب الإيمان وهو الإيمان بالكتب وأكد على ملخص الكتب هو القرآن الكريم لدليل قاطع على أن أمر التوحيد جاءت به كل الرسالات والكتب المنزلة قبل القرآن وهذا، كما قال الشيخ في هداية هذه الآيات، إثبات لرسالة مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام بإنزال الكتاب عليه.[2]

[1] ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج1، ص407.

[2] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ص157.

المثال الثاني: من سورة آل عمران:

قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران :26-27].

أولا: هداية الآيات

- فضل الدعاء بهاتين الآيتين بأن يقرأهما العبد ثم يقول: "رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطي منهما من تشاء، وتمنع من تشاء اقض عني الدين، فإنه يقضى بإذن الله تعالى ويعطى إن سأل حاجة له من حوائج الدنيا والآخرة.
- استجابة الله تعالى لرسوله ﷺ وإنجازه ما وعده في أمته.
- بطلان ألوهية عيسى عليه السلام وثبوت عبوديته ورسالته وكرامته.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج

إن هاتين الآيتين مربوطتان بما قبلهما، نجد في الآيات السابقة ذكر دلالات التوحيد والنبوة وصحة دين الإسلام فجاءت هاتان الآيتان وما بعدهما من بشائر التي تدل على قرب نصر الإسلام والمسلمين لأن الأمر كله بيد الله يعز من يشاء ويذل من يشاء وهو وحده على كل شيء قدير.[1]

كما نجد في هاتين الآيتين إرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة لأن الله حوّل النّبوة من بني إسرائيل إلى سيدنا مُحَمَّد ﷺ وهذا تعريض بأهل الكتاب بسبب إعراضهم عن الإسلام حسدا على زوال النبوة والملك منهم.[2]

وهنا لفتة عظيمة يجب على المسلمين أن ينتبهوا لها وهي أن الله قادر على أن يعز من يشاء وقد أعز المسلمين لما كانوا موحدين يرجعون كل شيء إلى الله يوحدونه لا يشركون به شيئا لا

[1] ينظر: مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، مرجع سابق ، ص194.

[2] ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، ج1، مرجع سابق، ص443/442.

كما فعل اليهود والنصارى في تألهيه كل من عزير وعيسى عليهما السلام لقوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ**﴾[التوبة :30].

والآيتان رد على سخرية اليهود والمنافقين كذلك، من أخبار مُحَمَّد ﷺ لأصحابه أن ملك أمته سيبلغ كذا وكذا في أحاديث صحاح واستنباط الشيخ أبي بكر هداية الآيتين بإبراز فضل الدعاء و خاصة في أمر من حل به دين أراد بذلك أن يربط كل مؤمن بالله عز وجل حتى يكون يقينه بالله يسأله وحده ولا يسأل غيره فبذلك يقوى ارتباطه بالله عز وجل وإن كان مخلصا موقنا بربه مع اتخاذ الأسباب الشرعية يوفقه الله سبحانه إلى قضاء دينه كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم في الحلية.[1]

وهنا نرى أن الشيخ أحب أن يكون أمر المؤمن موكل كله لله لا لغيره في السراء والضراء حتى يصدق فيه حديث رسول الله ﷺ "**عَجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِن: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ.**"رواه مسلم، كما أن استجابة الله تعالى لرسوله ﷺ بأن دانت له الجزيرة كلها بالإسلام قبل وفاته ﷺ في فترة قصيرة –أقل من ربع قرن– بلغ ملك مُحَمَّد ﷺ من اقصى الشرق إلى أقصى الغرب ومن جملتها دولتي الفرس والروم كل ذلك دليل على أن الأمر بيده سبحانه يؤتي الملك من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء.

فالتمسك بعقيدة التوحيد هي الملجأ والفرار من كل عقاب وعذاب.

وهنا وأنا أكتب هذا البحث وحال العالم يمر بوباء لم يكن يتصوره أحد، فأذلّ الله سبحانه وتعالى من كانوا يدعون العظمة بل إنهم يزعمون أن العلم هو منجيهم ومنقذهم فألهوا ما أعطاهم الله إياه (العلم) فجعلوه يحل لهم مشاكلهم دون ان يجعلوا توحيد الله والرجوع إليه هو الملجأ لأن العلم هو منّة منه سبحانه وتعالى حتى يعرف العبد به ربه لا أن يطغى به قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾[النازعات :37-39].

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري ، أيسر التفاسير، ج1، ص168.

كما بين الشيخ في هذه الهداية أن الألوهية ليست لأحد من عباده سواء كانوا أنبياء أو صالحين فقال "بطلان ألوهية عيسى عليه السلام وثبوت عبوديته ورسالته وكرامته".[1]

فسيدنا عيسى عليه السلام هو عبد الله ورسوله أكرمه الله بالنبوة كما جاء في القرآن الكريم قال الله تعالى قَالَ: ﴿**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾[مريم :30-32].

فالشيخ يسوق هذه الهداية من أجل السامع و القارئ كي يعي ما يسمع وما يقرأ من هذا الذكر الحكيم حتى يوحد الله سبحانه وتعالى ويعلم أنه سبحانه لا يقبل الشريك وأعظم ذنب عند الله هو الشرك قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا**﴾ [النساء :116]، وهذا ما أشار إليه في مقدمة تفسيره.[2]

المثال الثالث من سورة آل عمران :

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ**﴾[آل عمران :190-195].

---

[1] أبوبكر جابر الجزائري ، أيسر التفاسير،ج1،ص168

[2] ينظر: الشيخ أبوبكر جابر الجزائري، مقدمة أيسر التفاسير، مرجع سابق، ص7/6/5.

أولا: هداية الآيات

- وجوب التفكر في خلق السموات والأرض للحصول على المزيد من الإيمان والإيقان.
- استحباب تلاوة هذه الآيات: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ...**﴾ إلى آخر السورة، وذلك عند القيام للتهجد آخر الليل لثبوت ذلك في الصحيح عنه ﷺ.
- استحباب ذكر الله في كل حال من قيام أو قعود أو اضطجاع.
- استحباب التعوذ من النار بل وجوبه ولو مرة في العمر.
- مشروعية التوسل إلى الله تعالى بالإيمان وصالح الأعمال.
- فضل الهجرة والجهاد في سبيل الله.
- المساواة بين المؤمنين والمؤمنات في العمل والجزاء.
- استحباب الوفاة بين الأبرار وهم أهل الطاعة لله ولرسوله والصدق فيها وذلك بالحياة معهم والعيش بينهم لتكون الوفاة بإذن الله معهم.

ثانيا: الإيضاح و التحليل و الاستنتاج

لما يسوق الشيخ أبوبكر هداية الآيات من الآية 190 إلى الآية 195 في الجانب العقدي وهو معرفة الله سبحانه وتعالى من خلال آياته لأمر بالغ الأهمية لأن كثيرا من الناس هم حائرون وتائهون لأنهم لم يلجأوا إلى العلم الصحيح حتى يعرفوا ربهم فيرتاحون بل راحوا يفكرون في ذات الله ونسوا أنهم أمام آياته التي تدلهم عليه وهذا ما نبه إليه الشيخ بقوله "وجوب التفكر في خلق السماوات والأرض للحصول على المزيد من الإيمان و الإيقان"[1]،

قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران :190].

وجهت الهداية القرآنية في هذه الآية الإنسان بأن يفكر فيما خلق الله حتى يعرفه دون أن يفكر في حقيقة ذات الله لأن حقيقة الذات الإلاهية لا تعرف ولا يدرك كنهها لأنها لا تحيط بها الفكرة، والإنسان لم يعطى وسائل إدراكها وإذا كان الإنسان لا يزال عاجزا عجزا كاملا عن معرفة الكثير من حقائق الأشياء التي هي أمامه في هذا الكون فإن عجزه عن معرفة

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري،أيسر التفاسير ،ج1،ص 157 و 234

ما وراءه أبين.[1] قال تعالى: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[الأنعام :103]، **وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي ﷺ "تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره**[1].

و يرشد الشيخ إلى تلاوة هاته الآيات وهذا عند قيام الليل في الثلث الأخير اقتداءا بسنّة النبي ﷺ، وهذا من أجل تقوية الإيمان بالتقرب إلى الله بما يحب قال تعالى: ﴿**وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا**﴾ [الإسراء :79]،كما ذكر أمورا اخرى تقوي الإيمان مثل التعوذ من النار أي طلب النجاة منها والتوسل إلى الله بالأعمال الصالحة النابعة من الإيمان بالله سبحانه وفضل الهجرة والجهاد في سبيل الله وكل هذه الأعمال تزيد المؤمن إيمانا وتجعله لا يغتر بهذه الدنيا التي هي متاع الغرور، قال تعالى:﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾ [آل عمران :185].

ونلاحظ أن الشيخ أبابكر بدأ بهداية الآيات الأولى من هذه السورة بتقرير ألوهية الله تعالى ونفيها عن غيره من خلقه خلاف ما ادعته النصارى في عيسى بأنه ابن الله أو هو الله لقوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ**﴾ [التوبة :30]، وهذا معناه إثبات وحدانية الله تعالى ونرى الشيخ في آخر السورة يستخرج من الآية: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190)** ﴾ [آل عمران :190]، الهداية التالية :

– وجوب التفكر في خلق السموات والأرض للحصول على المزيد من الإيمان والإيقان.[2]

وهذا ما يدلنا على أن ما أرشدت إليه هذه الآيات في التفكر في خلق الله للوصول إلى الخالق سبحانه وتعالى ينسجم مع بداية هذه السورة بل برهان على ما قررته السورة في بدايتها على أن الله واحد ليس هناك من ينازعه في ألوهيته سبحانه وذلك لا يدركه إلا أولوا الألباب ونستفيد من هذه الآيات الفوائد التالية:

[1] ينظر: السيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، ص13.

[1] السخاوي، المقاصد الحسنة، ص 191.

[2] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري،أيسر التفاسير ،ج1، ص234/157.

إنما خصص التفكر بالخلق للنهي عن التفكر في الخالق ففي الحديث الشريف "تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق فإنكم لا تقدرون الله قدره" وذلك للوصول إلى كنه ذاته وصفاته قال بعض العلماء "المتفكر في ذات الله كالناظر في عين الشمس لأنه تعالى ليس كمثله شيء.[1] وتكرار النداء بهذه الصيغة الجميلة (ربنا) هو قمة التذلل لله سبحانه و تعالى واستعطافه وطلب رحمته بنداءه خمس مرات بهذا الإسم الجليل كما يدل على قمة العقيدة الخالية من الشرك وأنه ليس هناك ملك لغير الله ولا صلاح بغير كتاب الله و لا تربية بغير ما جاء من عند الله، فمن اراد أن يحوز على رضوان الله عليه أن يوحد الله وأن يصلح شأنه بما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله فبذلك يضمن عدم الخزي يوم القيامة فيكون مع المتقين الفائزين قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ** ﴾[القمر :54-55]، سئلت السيدة عائشة ﵂ عن أعجب ما رأته من رسول الله صلى الله عليه و سلم فبكت وقالت: "كل أمره كان عجبا، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال: ذريني أتعبد لربي عز وجل فقلت :والله إني لأحب قربك و أحب هواك، فقام إلى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح فقال: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال :ويحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**

[1] ينظر: مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص254/255.

الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾[آل عمران :190-195] ثم قال: ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها".[1]

المطلب الثالث: هداية الآيات في الجانب العقدي من سور النساء والمائدة والأنعام

الفرع الأول: أمثلة من سورة النساء

سورة النساء هي من السور المدنية الطويلة بعد البقرة ومحورها يدور حول التوحيد الصحيح و مقوماته.[2]

وإذا كانت سورة آل عمران ختمت بقوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران :200]، فإننا نجد سورة النساء تبدأ بقوله تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [النساء :1]، لتأكد أن الفلاح مرهون بتقوى الله أي إن اتقيتم الله في كل شيء واستجبتم لأوامره في المنشط والمكره يكون الفلاح في الدنيا والآخرة ، وهذا ما جعل شيخنا يؤكد على أمر التقوى في أول هداية لهذه الآية الكريمة بعد أن بين فضلها بقوله :" أهمية الأمر بتقوى الله تعالى إذ كررت في آية واحدة مرتين في أولها وفي آخرها"،[3] وهذا ما سنتطرق له عند تناولنا لهداية الآيات بالإيضاح و التحليل.

المثال الأول من سورة النساء:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾ [النساء :1].

---

[1] ينظر: ابن كثير ،ج1، ص440،

[1] شعيب الأرناؤوط، تخريج مشكل الآثار، حديث رقم 4618.

[2] ينظر: مصطفى مسلم ، التفسير الموضوعي، سورة النساء،ج2، ص2.

[3] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص237.

أولا: هداية الآية الكريمة

– فضل هذه الآية إذ كان النبي ﷺ إذا خطب في حاجة تلا آية آل عمران: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران :102] . وتلا هذه الآية، ثم آية الأحزاب: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾[الأحزاب :70-71]، ثم يقول: أما بعد ويذكر حاجته.

– أهمية الأمر بتقوى الله تعالى إذ كررت في آية واحدة مرتين في أولها وفي آخرها.

– وجوب صلة الأرحام وحرمة قطعها.

– مراعاة الأخوة البشرية بين الناس واعتبارها في المعاملات

ثانيا: الإيضاح و التحليل و الاستنتاج

بدأ الشيخ بفضل هذه الآية الكريمة مذكرا ما كان يفعله ﷺ عند خطبة الحاجة إذ كان صلى الله عليه و سلم يبدأ بئاية آل عمران: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**﴾[آل عمران :102]، ثم يقرأ هذه الآية: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النساء :1]، ثم يقرأ بئاية الأحزاب: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾[آل الأحزاب:70-71]، ثم يقول أما بعد ثم يقول ما هو قادم عليه من فعل .

والشيخ هنا ذكرنا بما كان يفعله ﷺ من قراءة لهذه الآيات والآية التي هي مطلع سورة النساء لنقتدي به ﷺ عند خطبة الحاجة وهذا ما أمرنا به القرآن، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ [الأحزاب :21]، و قوله عز وجل: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر :7]، ثم بين لنا أهمية التقوى وذلك لأنها

تكررت مرتين في نفس السياق لتؤكد لنا وجوب الخوف من الله سبحانه لأنه هو الرب والمربي والخالق والمالك له العبودية والطاعة ولا معبود سواه.[1]

رغم أن هذه السورة مدنية وكما جاء في تفسيرها في صفوة التفاسير :"سورة النساء إحدى السور المدنية الطويلة بعد سورة البقرة في الطول، هي سورة مليئة بالأحكام الشرعية التي تنظم الشؤون الداخلية والخارجية للمسلمين"[2]، نراها إبتدات بمطلع عقدي: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾[النساء:1]، مما يؤكد لنا أن أمر العقيدة هو الأساس كما أكده الشيخ في مقدمة تفسيره، وهذا أمر واضح لأن الذي لا يخاف الله لا يقدره حق قدره قال تعالى: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾ [الأنعام :91] ولا يلتزم ما جاءت به السورة من تشريعات ومن هنا كان التذكير بأمر العقيدة في السور المدنية.

وتكررت لفظة التقوى في مطلع هذه السورة مرتين لأهميتها كذلك، لأنها أصل التوحيد الصحيح ونظرا لأن كثيرا من المسلمين يسمعونها ويرددونها ولا يهتمون بحقيقتها أو لا يفهمون معناها، من هنا نرى الشيخ يبرز أهميتها حتى يتم فهمها ويتأثر من يقرأ تفسيره الإصلاحي فيغير من حاله ويستجيب لربه قال الشيخ : " أهمية الأمر بتقوى الله تعالى إذ كررت في آية واحدة مرتين في أولها وفي آخرها "، وهكذا نرى نتيجة التقوى أن الإنسان المؤمن يصل رحمه ولا يقطعها ويحسن علاقته بينه وبين الناس لا خوفا منهم أو طمعا فيهم وإنما يفعل ذلك امتثالا لأمر الله و اجتنابا لنهيه كما جاء في مختصر تفسير الطبري في قوله عز وجل: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ**﴾، أي خافوا أيها الناس ربكم بالامتثال لأوامره و اجتناب نواهيه.[3]

ونخلص إلى أن الأحكام الشرعية سواء في مجال العبادات أو المعاملات والاداب الإسلامية التي يجب أن يتحلى بها المسلم في المجتمع، كلها أوامر من مصدر واحد أي أنها تصدر من الله عز وجل يجب الإمتثال لها بمقتضى الإيمان به والإعتراف بألوهيته وإفراده بها لذا نجد إفتتاحية هذه السورة تدعو الناس إلى تقوى ربهم الذي خلقهم من نفس واحدة وتنتهي إلى

[1] ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، سورة النساء، ص6.

[2] مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير،ج1، مرجع سابق، ص256.

[3] ينظر: مُحَمَّد علي الصابوني وصالح أحمد رضا، مختصر تفسير الطبري، ج1، ص139.

تقواه قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**﴾، كما تحذرهم من مراقبته: ﴿**وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**﴾[النساء:1].[1]

المثال الثاني من سورة النساء:

قال الله تعالى: ﴿ **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا**﴾ [النساء :87-90]

أولا: هداية الآيات:

- وجوب توحيد الله تعالى في عبادته.
- الإيمان بالبعث والجزاء.
- خطة حكيمة لمعاملة المنافقين بحسب الظروف والأحوال.
- تقرير النسخ في القرآن.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج.

إن العبادة لا تكون إلا لله وحده لذا نجد فاتحة الكتاب أمرتنا بذلك بل إن المسلم في كل ركعة يتعهد على ألا يتوجه بالعبادة إلا له وحده فقال: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾[الفاتحة:4]، لأنه الواحد في ألوهيته وفي ربوبيته، خلق الخلق ولم يتركهم سدى بل رعاهم وأنعم عليهم بكل خير:

[1] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج1، ص562/563.

﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم :34].

ولما كان الله هو وحده الخالق والمنعم وجب على الناس أن يطيعوه، فاستجاب لهذه الطاعة المؤمنون فكان الله بهم رحيما يذكرهم بأنه الله لا إله إلا هو سيجمعهم يوم القيامة للحساب.[1]

بذلك ذكر الشيخ أبوبكر بهذه الهداية للآيات أنه يجب توحيد الله في العبادة بالمفهوم الواسع وعليه فإن قتال المسلمين أعداء الله وأعداء الإنسانية؛ إنما هو قتال في سبيل الله، فقتال المنافقين الذين تبين شركهم وكفرهم ومخادعتهم هو من أجل إعلاء كلمة الله لتكون هي العليا وكلمة أهل الشرك والنفاق هي السفلى.

فاستجابة المؤمن لأمر الله تعالى فيما أوجبه عليه هو دليل على توحيده لله سبحانه في عبادته وبالتالي هو إيمان بالبعث والجزاء الذي أخبر به وهو سبحانه أصدق القائلين: ﴿**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا**﴾[النساء :87].

المثال الثالث من سورة النساء:

قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**﴾[النساء :174-175].

أولا: هداية الآيتين:

- الدعوة الإسلامية دعوة عامة فهي للأبيض والأصفر على حد سواء.
- إطلاق لفظ البرهان على النبي ﷺ؛ لأنه بأميته وكماله الذي لا مطمع لبشري أن يساميه فيه برهان على وجود الله وعلمه ورحمته.
- القرآن نور لما يحصل به من الإهتداء إلى سبيل النجاة وطرق السعادة والكمال.
- ثمن السعادة ودخول الجنة الإيمان بالله ورسوله ولقائه والعمل الصالح وهو التمسك بالكتاب والسنة المعبر عنه بالاعتصام.

[1] ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ج2 ص178.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج

لقد انعم الله على البشرية دون تمييز بالدعوة الإسلامية التي تقود الناس جميعا إلى دين التوحيد الذي فيه صلاح الإنسان في دينه ودنياه وبالتالي سعادته في الدنيا والآخرة. فأرسل الله سيدنا مُحَمَّد ﷺ برهانا منه على وجوده سبحانه وأنه وحده الإله في هذا الكون وبإرادته سبحانه أنزل عليه القرآن نورا مبينا لمن اهتدى به.

ونجد الشيخ بعدما أبرز في هذه الهداية للآيتين الإهتداء بنور القرآن لمن أراد سبيل النجاة وطريق السعادة، وهذا ما عمل عليه الشيخ في إظهاره جليا حتى يستفيد منه من قرأ تفسيره أيسر التفاسير، كما ركز على الإيمان بالله سبحانه وبرسوله ثم العمل الصالح الذي يرضي الله وهذا كما سماه هو ثمن السعادة والدخول إلى الجنة[1]، ومن لايرغب في الدخول إلى الجنة ورضوان الله؟! قال تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ [يونس :26] ومما يستفاد منه في هداية الآيتين:

– أن دعوة الإسلام هي دعوة لجميع الخلق.

– أن مُحَمَّد ﷺ هو برهان من ربه.

– أن ما جاء به هو النور الذي به يصلح هذا الكون، ونعني به ما جاء به من تشريع وأحكام لتنظيم المجتمع البشري.

– وبذلك ينال من عمل العمل الصالح الذي هو على منهج الكتاب والسنة السعادة في الدنيا والدخول إلى الجنة في الآخرة.

– كما يستفاد كذلك على أن العمل بشريعة الله دليل على الإمتثال لأوامر الله وبالتالي توحيده، وعليه نجد السورة ختمت بحكم شرعي وهو أمر الكلالة لأنه كما جاء في التفسير الموضوعي: "وبمناسبة كون هذا القرآن نورا وضياء فقد ختمت السورة بجواب استفتاء في قضية من قضايا الإرث ليعلم أن التوحيد الصحيح يكون بطاعة الله في كل شيء والإستسلام لحكمه في كل قضية"،[2] قال تعالى: ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ**

[1] ينظر: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري أيسر التفاسيرج1 ص 5.

[2] مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ج2 ص283.

وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[النساء :176].

وهذا ما نراه نبه إليه الشيخ في مقدمة تفسيره بالإستشهاد في الآية الكريمة: ﴿..**قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[المائدة: 15-16].

الفرع الثاني: امثلة من سورة المائدة

سورة المائدة هي مدنية بإجماع،[1] وهي من السور الطويلة في القرآن الكريم وكغيرها من السور المدنية تناولت جانب التشريع بإسهاب أكثر من البقرة والنساء، ومطلعها مرتبط بما انتهت به سورة النساء في أية الكلالة التي انتهت بقوله عز وجل: ﴿.. **يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النساء:176]، فكان البيان بتشريع الذي أراده الله عز وجل في هذه المسالة وافتتحت سورة المائدة بقوله تعالى: ﴿.. **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ**﴾ [المائدة:1]، فختمت سورة النساء المتوج بعقيدة التوحيد: ﴿..**يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النساء:176]، ما أعظم هذه الرعاية من الله لخلقه حتى لا يضلوا ! لأنه كما وصف نفسه أنه بكل شيء عليم، وتفتتح سورة المائدة بالتشريع المتوج بأمر العقيدة بقوله عز وجل: ﴿.. **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ**﴾[المائدة:1].[2]

[1] ينظر: تفسير القرطبي، المجلد الثالث، ج6 ص30.

[2] ينظر: مصطفى مسلم التفسير الموضوعي لسورة المائدة ص288.

المثال الأول من سورة المائدة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة :1-2]

أولا: هداية الآيتين:

- وجوب الوفاء بالعهود التي بين الله تعالى وبين العبد والمحافظة على العقود التي بين العبد وأخيه العبد لشمول الآية ذلك.
- إباحة أكل لحوم الإبل والبقر والغنم إلا الميتة منها.
- تحريم الصيد في حال الإحرام وحليته بعد التحلل من الإحرام وهو صيد البر لا البحر.
- وجوب احترام شعائر الدين كلها أداء لما وجب أداؤه، وتركاً لما وجب تركه.
- حرمة الاعتداء مطلقاً حتى على الكافر.
- وجوب التعاون بين المؤمنين على إقامة الدين، وحرمة تعاونهم على المساس به.

ثانيا :الايضاح والتحليل والاستنتاج :

رغم أن السورة مدنية ولكنها تتصدر بالأمر العقدي والذي كان في قوله عز وجل: **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾**[المائدة:1]، قال الشيخ في توجيهه لنا نحن القراء لهذه الهدايات المستنبطة في تفسيره "وجوب الوفاء بالعهود التي بين الله تعالى وبين العبد"، وشيخنا إستنبط أمر الوجوب من أمره سبحانه وتعالى من نداءه لأهل الإيمان وقال هو بنفسه بشرحه لهذه الآية من السورة ينادي الحق تبارك وتعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان فيقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** أي: يا من آمنتم بي وبرسولي ووعدي ووعيدي **﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾**، فلا تحلوها وبالعهود فلا تنكثوها، فلا تتركوا واجباً ولا ترتكبوا منهياً، ولا تحرموا حلالاً ولا تحلو حراماً

أحللت لكم من بهيمة الأنعام و الإبل والبقر والغنم إلا ما يتلى عليكم وهي الآتية في آية: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ...**﴾[المائدة :3]، فلا تحرموها وحرمت عليكم الصيد وأنتم حرم فلا تحلوه. وسلموا الأمر لي فلا تتنازعوا فيما أحل وأحرم فإني أحكم ما أريد. هذا ما تضمنته الآية الأولى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾ [المائدة :1].[1]

وعلق الشيخ على العبارة القرآنية {.. **إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيد..**} بقوله :"هذه الجملة تقتضي تسليم الأمر لله فلا اعتراض عليه فيما يحل ويحرم وهو كذلك".[2]

وهنا يظهر أن الإمتثال لأمر الله كما وضحه الشيخ هو قمة الإيمان وتوحيده عز وجل وهذا ما بينته السورة في الآيتين التاليتين لقوله تعالى: ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ [المائدة :49-50]، في الآيتين رد على أهل الكتاب الذين لم يرضوا بحكم الله و هذا تنبيه لأهل الإيمان وتحذير حتى لا يكونوا مثلهم.

ونرى الشيخ أبرز في هداية هاتين الآيتين أمرين مهمين وهما حرمة الإعتداء مطلقا حتى على الكافر ووجوب التعاون بين المؤمنين وعلى إقامة الدين وحرمة تعاونهم على المساس به.

والعمل بهذه الإرشادات في هذه الهداية يدل على قوة الإيمان بالله وتقواه سبحانه وعدم القيام بذلك يدل على خلافه ولهذا نرى في نهاية الآية الثانية تحذير من ذلك لقوله عز وجل: ﴿**..وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [المائدة :2]، إذن إقامة الشعائر التعبدية وتنفيد أحكام الشرع لا ينبع إلا من الإيمان لذا نجد السورة إبتدات بالنداء لأهل الإيمان لأنهم هم وحدهم المستجيبون لنداء الرحمان.

---

[1] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص320.

[2] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1،ص 320.

المثال الثاني من سورة المائدة:

قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [المائدة :17-19].

أولا: هداية الآيات:

- كفر من ينسب إلى الله تعالى ما هو منزه عنه من سائر النقائص.
- بطلان دعوى اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه بالدليل العقلي.
- نسبة المخلوقات لله تعالى لا تتجاوز كونها مخلوقة له مملوكة يتصرف فيها كما شاء ويحكم فيها بما يريد.
- قطع عذر أهل الكتاب بإرسال الرسول مُحَمَّد ﷺ على حين فترة من الرسل.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج:

يزيدنا تبينا أن التشريع لا يسير بدون عقيدة التوحيد لأن من لم يستجب لدعوة التوحيد لا يتبع إلا هواه ومن هنا أكدت السور المدنية على هذا الجانب المهم وهو عقيدة التوحيد.

عدم استجابة أهل الكتاب لحكم الله عز وجل أصبح واضحا تمثل في كفرهم بالله وهذا ما نرى الشيخ في هذه الهداية لهذه الآيات بينه بوضوح، فهو سبحانه منزه عن ما ينسب إليه من سائر النقائص وبالتالي دخل حيز الكفر، فنسبة اليهود والنصارى أنفسهم بأنهم أبناءه وأحباءه إدعاء باطل بالدليل والذي يبرهن عليه هو العقل.

فاليهود والنصارى هم كغيرهم من المخلوقات خلقهم الله يفعل فيهم ما يشاء ويحكمهم بما يريد ومن اعتقد غير هذا فهو بعيد عن الصواب، وقد أقيمت عليهم الحجة القاطعة ببعثة مُحَمَّد ﷺ الذي قد أُرسل لجميع الخلق قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**

وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ :28]، ثم إنه ﷺ رحمة من عند الله للعالمين قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء :107].

تأييدا و تأكيدا لما استنتجه الشيخ قال صاحب التفسير الموضوعي مستخلصا الهدايات من هذه الآيات قائلا :

1- من أخطر الجرائم نسبة الولد لله تعالى.

2- كذُب الله تعالى اليهود والنصارى في ادعائهم أنهم أبناؤه ونفاهم عنه وبين عذابهم نتيجة هذا الادعاء.

3- بهذا الإدعاء ازدادوا من الله بغضا وبعدا وزاد أهل التوحيد عند الله حبا وقربا.[1]

ومن منّه سبحانه وتعالى أن فتح لهم باب التوبة إن هم ءامنوا بما جاء به مُحَمَّد ﷺ واتبعوه، فهي فرصة منحها الله لهم إن انتهزوها نجوا من عذاب الله لأنه على كل شيء قدير: ﴿.. **وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [المائدة :19].

ويستخلص من هذا أن الشرك بالله مهما كان نوعه مرفوض ولا يقبل عند الله وهذا ما نراه أشار إليه شيخنا في مقدمته لأولئك الذين يقفون عند الأضرحة وينادون: ياسيدي! ياسيدي!، قال الشيخ في هذا الصدد: "والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعونه بأعلى أصواتهم: ياسيدي !يا سيدي ! كذا وكذا...)".[2]

فالشيخ بتفسيره لمثل هذه الآيات في الجانب العقدي واستخلاص هدايتها، أراد أن يرشدنا إلى عدم السير على نهج اليهود والنصارى لأنهم ضلوا وأضلوا فازدادوا من الله بغضا وبعدا فالشيخ يريد منا أن نكون موحدين حتى نزداد عند الله حبا وقربا.

كما يُستخلص فساد عقيدة أهل الكتاب بسبب نسبهم لله ما لا يليق به سبحانه، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

[1] ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، سورة المائدة، ج2، ص313.

[2] الشيخ ابو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، المقدمة، ج1، ص5.

المثال الثالث من سورة المائدة:

قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ينظر: كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ ينظر: أَنَّى يُؤْفَكُونَ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[المائدة :73-76]

أولا: هداية الآيات:

- إبطال التثليث في عقيدة النصارى وتقرير التوحيد.
- إبراء عيسى ووالدته عليهما السلام من دعوى الألوهية للناس.
- فتح باب التوبة في وجه النصارى لو أنهم يتوبون.
- تقرير بشرية عيسى ومريم عليهما السلام بدليل إحتياجهما إلى الطعام لقوام بنيتهما، ومن كان مفتقراً لا تصح ألوهيته عقلاً وشرعاً.
- ذم كل من يعبد غير الله إذ كل الخلائق مفتقرة لا تملك لنفسها ولا لعابدها ضراً ولا نفعاً، لا تسمع دعاء من يدعوها، ولا تعلم عن حاله شيئاً، والله وحده السميع لأقوال كل عباده العليم بسائر أحوالهم وأعمالهم، فهو المعبود بحق وما عداه باطل.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج:

ومن خلال ما جاء في هذه الآيات وهدايتها نتبيّن فساد عقيدة النصارى القائمة على التثليث وهذا ما أبرزه الشيخ بقوله: "إبطال التثليث في عقيدة النصارى وتقرير التوحيد"، وهذا ما تضمنته الاية 73 من سورة المائدة، هذه الآية تأكد كفر النصارى سواء الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم لقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ..**﴾ [المائدة :72]، أو الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة لقوله عز وجل: ﴿ **لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ..**﴾ [المائدة :73].

فتقرير التوحيد كما جاء في بداية الآيات يستلزم عدم تقرير التثليث (الشرك) معنى ذلك تقرير وحدانية الله تعالى لقوله تعالى: ﴿..**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ** ..﴾[المائدة :73] كما

يستلزم التثليث العقوبة منه سبحانه قال تعالى: ﴿.. **وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [المائدة :73].

ونجد الشيخ يبرز تبرئة عيسى وأمه عليهما السلام مما نسب إليهما حتى يحذر كثير من عامة المسلمين من نسبهم لأولياء الله الصالحين النفع والضرر من غير الله تعالى، وهذا متضمن فيما جاء في مقدمة ايسر التفاسير لشيخنا.[1]

وهذا الفعل من عامة المسلمين شبيه بما قام به النصارى إلا أن هؤلاء كان شركهم بالله وكفرهم به واضح للعيان ولقد تبرأ عيسى عليه السلام منهم وهذا ما جاء في القرآن في قوله عز وجل: ﴿**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾[المائدة :72].

ولم يغفل الشيخ في توجيهه وإرشاده من خلال هداية هاته الآيات أن يظهر مدى عفو الله لعباده إن هم رجعوا وتابوا إليه وهذا من خلال قول الشيخ: "فتح باب التوبة في وجه النصارى لو أنهم يتوبون"، يفهم من ذلك أنه أي انسان أخطأ في حق الله ثم رجع عن شركه فإن الله يقبل منه شريطة أن يكون صادقا لأن الله يحب الصادقين قال تعالى: ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة :119]، ولأن رحمة الله وسعت كل شيء يهبها لمن اتقاه في الدنيا فلم يشرك ولم يكفر، قال تعالى: ﴿..**قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ**﴾[الأعراف :156].

قال صاحب الظلال في شان بني إسرائيل :"إن القرآن استوفى الحكم عليهم فقال: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ..**﴾ [المائدة :73].[2]

وقال الشيخ أبوبكر في شأن الاية 73: "الآية نص في أن من يقول بقول النصارى كافر مستوجب للعذاب الأليم "،[3] وهنا يلتقي الشيخ أبوبكر والأستاذ سيد قطب في تقرير أمر

[1] ينظر: الشيخ ابو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، المقدمة، ج1، ص5.

[2] ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، ج2،سورة المائدة، ص945.

[3] ابو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1،ص359.

التوحيد لله عز وجل في توجيهه من خلال هداية هذه الآية "إبطال التثليث في عقيدة النصارى وتقرير التوحيد" ويقول الأستاذ سيد قطب "ويقرر الحقيقة التي تقوم عليها كل عقيدة جاء بها رسول من عند الله: ﴿..**وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ**..﴾، ويهددهم عاقبة الكفر الذي ينطقون به ويعتقدونه لقوله تعالى: ﴿..**وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [المائدة :73]، ثم أعقب التهديد والوعيد بالتحضيض والترغيب: ﴿ **أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [المائدة :74]، وهذا من أجل إبقاء باب التوبة مفتوحا أمامهم إن هم رجعوا وتابوا ليطمعهم في مغفرة الله ورحمته، لكن قبل فوات الأوان.[1]

ومن توجيه الشيخ في الهداية للآيات أن عيسى عليه السلام بشر كغيره من الناس ينطبق عليه قانون البشرية في الجانب البيولوجي فهو يأكل ويشرب هو وأمه كذلك، وبذلك فندّ القرأن مقولة أهل الكتاب من يهود ونصارى أنه إله أو ابن الله وأن أمه كذلك ليست من البشر قال تعالى: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ينظر: كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ ينظر: أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾[المائدة :75]، وأن من يأكل الطعام يجري عليه قانون الكائن الحي من الخلق وإنما شرّفه الله تعالى بالرسالة إخيارا من سبحانه وتعالى: ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾[الأنبياء :23]، وقال تعالى: ﴿**وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [القصص :68]، فعيسى عليه السلام وأمه مفتقران للطعام والشراب لقوام بنيتهما ومن كان مفتقرا لا تصلح ألوهيته عقلا وشرعا، قال الشيخ: "تقرير بشرية عيسى ومريم عليهما السلام بدليل احتياجهما إلى الطعام لقوام بنيتهما، ومن كان مفتقراً لا تصح ألوهيته عقلاً وشرعاً ".

كلام جميل يقوله صاحب الظلال في مسألة بشرية عيسى وعدم استفادة النصارى من استخدام عقولهم في هذه المسالة، قال: "ثم واجههم بالمنطق الواقعي القويم لعله يردّ فطرتهم إلى الإدراك السليم مع التعجب من أمرهم في الانصراف عن هذا المنطق بعد البيان والإيضاح"، قال تعالى: ﴿**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ينظر كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ ينظر أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [المائدة :75].

[1] ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص45، مرجع سابق.

وأكل الطعام مسألة واقعية في حياة المسيح وأمه الصدّيقة، وهذه خاصية يتميز بها البشر المخلوق و يتنزه عنها الخالق سبحانه الذي وصف نفسه بقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[الشورى :11].

يقول السيد قطب: "فأكل الطعام تلبية لحاجة جسدية لا مراء فيها، ولا يكون إله من يحتاج إلى الطعام ليعيش".[1]

وبالتالي فإن عيسى لا يصلح أن يكون إلها مادامت تعتريه هذه العوارض لأنه مفتقر إلى الأكل الشرب كما بين الشيخ أبوبكر في إرشاده من خلال هداية هذه الآيات.

وفي نهاية هذه التوجيهات والإرشادات من خلال هداية هاته الآيات: يجيئ الإستنكار ذاما فعلهم الشركي بالله سبحانه وتعالى أنهم يعبدون مالا يضرهم ولا ينفعهم من دون الله قال الشيخ أبوبكر: "ذم كل من يعبد غير الله إذ كل الخلائق مفتقرة لا تملك لنفسها ولا لعابدها ضراً ولا نفعاً، لا تسمع دعاء من يدعوها، ولا تعلم عن حاله شيئاً، والله وحده السميع لأقوال كل عباده العليم بسائر أحوالهم وأعمالهم، فهو المعبود بحق وما عداه باطل".[2]

يلفت الأستاذ سيد قطب انتباهنا إلى لطيفة جميلة في التعبير القرآني في الاية: ﴿..**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [المائدة :76]، وتتمثل في اختيار التعبير ب (ما) عوضا (من) في هذا الموضع قصدا وهذا من أجل ادراج المخلوقات التي تعبد كلها –بما فيها من العقلاء– في سلك واحد لأنه يشير إلى ماهيتها المخلوقة الحادثة البعيدة عن حقيقة الألوهية، بذلك يدخل عيسى عليه السلام وروح القدس وتدخل مريم في (ما) لأنهم بماهيتهم من خلق الله، ثم يردف قائلا :"ويلقي هذا التعبير ظله كذلك في هذا المقام ؛ فيبعد أن يكون أحد من خلق الله مستحقا للعبادة وهو لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ﴿**وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾ ".[3]

وهذا يناسب ما ذهب إليه الشيخ أبوبكر في هدايته لهذه الآيات بأن كل الخلائق مفتقرة لا تملك لنفسها ولا لعابدها ضرا ولا نفعا ولا تسمع دعاء من يدعوها ولا تعلم من حاله

[1] ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص945، مرجع سابق.

[2] ينظر: الشيخ ابو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص360.

[3] السيد القطب، في ظلال القرآن، ج، 2ص646، مرجع سابق.

شيئا والله وحده السميع لأقوال كل عباده العليم بسائر أحوالهم وأعمالهم فهو المعبود بحق وما عداه باطل.[1]

وصدق من قال في قوله تعالى: ﴿..**قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا**..﴾، إذا كان هذا في حق عيسى النبي فما ظنك بولي من الأولياء، هل يملك لهم نفعا أو ضرا !؟،[2] ومن خلال هذه الآيات وهدايتها تتجلى لنا الحقائق التالية :

أ- على أهل هذا الزمان أن يصححوا عقيدتهم ويجعلوها عقيدة صحيحة خالية من كل أنواع الشرك الصغير والكبير وهذا ما يسميه بعض أهل الفكر الإسلامي بالتصور الإعتقادي القائم على قاعدة التوحيد المطلقة،[3] وهذا ما وقع لأهل الكتاب عموما وخاصة النصارى فيما وقعوا فيه من شوائب الوثنية والشرك التي أفسدت عقيدتهم، وعلى العلماء الصادقين المخلصين أن يعرفوا أناس هذا الزمان بحقيقة الألوهية وإفراد الله سبحانه بخصائصها ولا يجوز أن تنسب لأي أحد من البشر مهما كان نوعه، وهذا ما نراه من شيخنا الفاضل قام به في تفسيره الإصلاحي من خلال هداية آيات القرآن فجازاه الله عنا كل الخير وتقبل الله منا ومنه كل عمل خير ينفع هذه الأمة، هذا لأهمية العقيدة لأنها إذا صلحت صلح كل عمل يقوم به المؤمن وإذا فسدت فسد كل عمل قام به، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾[الزمر:65-66].

ب- إن أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ والذين ألّهوا عيسى عليه السلام أو قالوا إن الله ثالث ثلاثة هؤلاء كفرة بصريح القرآن ولا يمكن أن نتعامل معهم إلا بحذر شديد وليس هناك مبرر أن نواليهم أو نتحالف معهم أو نستنصر بهم لأنهم أعداء للإسلام قال تعالى: ﴿**وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ [البقرة :120].

[1] ينظر: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص360.

[2] :ينظر: الشيخ علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص260.

[3] ينظر: السيد القطب، في ظلال القرآن، خاصة، ج2، في تفسير المائدة.

ليس هذا معناه أننا نكرههم على التزام ديننا قال تعالى: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ**﴾ [البقرة :256]، ولا يجوز أن نسمي ما هم عليه دينا يرضاه الله، بل ما هم عليه هو كفر ولا يمكن أن يكون الكفر دينا يرضاه الله قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ** ﴾ [آل عمران :19].

ت- بما أن الإسلام قائم على عقيدة التوحيد المتمثلة في "لا اله الا الله" وأهل الكتاب سواءا كانوا اليهود أو النصارى عقيدتهم منحرفة لا تعترف بعقيدة التوحيد، فلا يمكن إذن أن يكون هناك ولاء أو تناصر بين أهل الكتاب والمسلمين.

قال الشيخ أبوبكر في هذا الصدد: "حرمة موالاة أهل الكفر والشر والفساد، موالاة أهل الكفر بالمودة والنصرة دون المؤمنين هي أية الكفر وعلامته في صاحبه".[1]

وقال الأستاذ السيد قطب في هذا الشأن كذلك: " ومن ثم يصبح الكلام عن التناصر بين أهل الأديان أمام الإلحاد كلاما لا مفهوم له في اعتبار الإسلام! فمتى اختلفت المعتقدات على هذا النحو الفاصل لم يعد هناك مجال للإلتقاء على ما سواها، فكل شيئ في الحياة أولا يقوم على أساس العقيدة في اعتبار الإسلام".[2]

المثال الرابع من سورة المائدة:

قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ**

[1] ينظر: الشيخ ابو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص362، مرجع سابق.

[2] السيد القطب، في ظلال القرآن،ج2، ص947، مرجع سابق.

تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[المائدة :116-120]

أولا: هداية الآيات

- توبيخ النصارى في عرصات القيامة على تأليه عيسى ووالدته عليهما السلام.
- براءة عيسى عليه السلام مِنْ مشركي النصارى وأهل الكتاب.
- تعذيب المشركين وتنعيم الموحدين قائم على مبدأ الحكمة الإلهية.
- فضيلة الصدق وأنه نافع في الدنيا والآخرة، وفي الحديث: "عليكم بالصدق فإنه يدعو إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً".
- سؤال غير الله شيئاً ضرب من الباطل والشرك، لأن غير الله لا يملك شيئاً، ومن لا يملك كيف يعطي ومن أين يعطي؟

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج:

يذكر الشيخ في هذه الهداية للآيات بأن الأمر خطير إذا كان هناك من يظن أنه بسيط فأنت في حضرة الرب عز وجل وتسأل سؤال التوبيخ على ما اقترفته في حق الجليل العظيم من افتراء: ﴿..**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ..**﴾، وهنا لإقامة الحجة الدامغة على هؤلاء المكذبين من أهل الكتاب خاصة النصارى منهم فبسرعة فائقة في هذا المشهد المهيب يجيب عيسى عليه السلام مبرئا نفسه من هذه الكبيرة المتمثلة في الشرك الذي لا يغفر إذا مات صاحبه عليه قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا**﴾[النساء :48]، ﴿..**سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ** ﴾[المائدة :116]، سبحانك تنزهت عن الشريك والمثيل والنّديد ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، فيصبح النصارى المشركون في عرصات القيامة

موبّخين أمام العالمين أجمعين في حضرة المرسلين من لدن ءادم عليه السلام إلى مُحَمَّد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين.[1]

وهنا يأخذ المشركون حقهم من العذاب جزاء عملهم المشين ويكرم أهل التوحيد بالتنعيم في الجنة ءامنين قال تعالى: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [المائدة :119].

كما نستنتج أن المؤمن هو وحده الذي يصدق مع الله وبصدقه ينجو من عذابه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام الحديث المشهور: "**عليكم بالصدق فإنه يدعو إلى البر وأن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً**"[2] ، وهذا ما نجده في الجانب التربوي كيف تنتج العقيدة المؤمن الذي هو على تربية ربانية لا وجود لها في النظم الوضعية عند البشر.

وختمت هذه الهداية بأن الله الذي قال في بداية السورة في الآية الأولى: ﴿.. **إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ**﴾ [المائدة:1]، هو الذي له ملك السماوات والارض وما فيهن فتناسب البدأ مع الختام تصرفا وملكا وهو على كل شيئ قدير: ﴿**لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[المائدة :120]، وما أجمل ما انتهى به الشيخ في هذه الهداية للآيات في قوله: "سؤال غير الله شيئاً ضرب من الباطل والشرك، لأن غير الله لا يملك شيئاً، ومن لا يملك كيف يعطي ومن أين يعطي؟!"[3]

ونختم دراستنا لهذه الهداية للآيات الأخيرة لهذه السورة بهذه البشارة لأمة مُحَمَّد ﷺ من خلال هذا الحديث الذي رواه الامام مسلم في صحيحه" أن النبي ﷺ تلا قوله عز وجل في إبراهيم: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[إبراهيم :36]، وقول عيسى: ﴿ **إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ**

[1] ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ص390، مرجع سابق.

[2] اخرجه غير واحد من اصحاب الصحاح والسنن، ينظر: أيسر التفاسير ص377، هامش التفاسير.

[3] ينظر: الشيخ ابو بكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص377، مرجع سابق.

فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة :118]، فرفع يديه وقال: "**اللهم أمتي أمتي وبكى فقال الله الله تعال يا جبريل اذهب الى مُحَمَّد– وربك أعلم– واسأله ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال وهو أعلم، فقال الله يا جبريل: إذهب إلى مُحَمَّد فقل له إنّا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**".[1]

فهذه بشارة من الله أن أمة مُحَمَّد ﷺ لا تخزى يوم القيامة بل تفوز برضوان الله لأن الله هداها وشرح صدرها للإسلام قال تعالى: ﴿**فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ**﴾ [المائدة :125].

ندعوا الله أن يهدي الضّالين من أمة مُحَمَّد ﷺ ويثبت الصالحين.

الفرع الثالث: أمثلة من سورة الانعام

إذا كانت السور التي سبقت هذه السورة مدنية وكان الجانب العقدي فيها بارز بل هو الأساس لأنه كما قيل لا تشريع ولا أحكام ولا أخلاق بدون عقيدة التوحيد فالمنطلق لهذا الدين دين الإسلام المبني على عقيدة التوحيد"لا اله الا الله" **عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ كَرِيزٍ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:".. وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ "**،[2] فما بالك بهذه السورة العظيمة التي هي أحد السور المكية الطويلة، يدور محورها حول العقيدة وأصول الإيمان وهي تختلف في أهدافها ومقاصدها عن السور المدنية التي تناولنا أمثلة من هداية الآيات فيها في الجانب العقدي (سورة البقرة، آل عمران، النساء، المائدة)، فهي–سورة الأنعام–لم تعرض لشيئ من الأحكام التنظيمية للمجتمع المسلم كالصوم والحج والعقوبات وأحكام الأسرة ولم تذكر أمور القتال ومحاربة الخارجين عن الإسلام ولم تتحدث عن اليهود والنصارى ولا عن المنافقين كما رأينا في السور السابقة، ولكن تناولت القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة و الإيمان والتي هي :

–قضية الألوهية.

–قضية الوحي والرسالة.

[1] ينظر: مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص37.

[2] رواه الإمام مالك في "الموطأ "، صفحة 214، والبيهقي في "السنن"، حديث رقم (8651).

– قضية البعث والجزاء.[1]

فسورة الأنعام نزلت على قلب مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام من أجل نقض عقيدة الشرك وإبطالها وتقرير العقيدة الصحيحة وترسيخها.

فهي مليئة بهداية الآيات العقدية التي تواجه أساطين الكفر وصناديد الضلال الذين أعترضوا على دعوة الحق وكذبوا بها بل استهزءوا وأصروا على كفرهم عنادا وتعنتا رغم ما رأوْا من الآيات الدالة على صدق الدعوة فنزلت سورة الأنعام جملة واحدة، جاء في الإتقان في علوم القرآن عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "**نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك**"،[2] ونزلت جملة واحدة لحكمة كما ذكر صاحب نظم الذرر الإمام البقاعي: "وإنزالها على الصورة المذكورة يدل على أن أصول الدين في غاية الجلالة وأن تعلمه واجب على الفور لنزولها جملة بخلاف الأحكام فإنها تفرق بحسب المصالح، ولنزولها ليلا دليل على غاية البركة لأنه محل الأنس بنزوله تعالى إلى سماء الدنيا، وعلى أن هذا العلم لا يقف على أسراره إلا البصراء الأيقاظ من سنة الغفلات، وأولو الالباب أهل الخلوات والأرواح الغالبة على الأبدان وهم قليل"،[3] ونزولها جملة على غير المعهود في السور الطوال لتكون دفعة واحدة بحججها الساطعة وبراهينها القاطعة وآياتها المتتابعة التي ترهف الآذان وتخاطب الوجدان وتحاور العقول فتصل إلى القلوب.[4]

قال الشيخ أبوبكر جابر الجزائري في كتابه نهر الخير على أيسر التفاسير في شأن سورة الأنعام: "روى الطبراني عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "**نزلت علي سورة الأنعام جملة واحدة وشيعها سبعون ألفا من الملائكة لهم زجل من التسبيح والتحميد**" وسميت بالأنعام لذكر لفظ الأنعام فيها ست مراة، نزلت بمكة ليلا،[5] هذا ما يدلنا

[1] :ينظر: علي مُحَمَّد الصابوني ،صفوة التفاسير،ج1،ص376.

[2] السيوطي،الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص38.

[3] ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، سورة الانعام ص396/395.

[4] ينظر: الدكتور مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، سورة الانعام، ص393.

[5] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص377.

على أهمية هذه السورة وعظمتها في الجانب العقدي لأنها تناولته بالتفصيل والأدلة والبراهين الشافية الوافية.

والشيخ استخرج ما فيها من هداية الآيات العقدية ما يقنع المتردد على أن دين الإسلام هو وحده الدين الحقيقي الذي لا يقبل الشرك بأي حال أبطلته السور السابقة عن اليهود والنصارى وهنا في هذه السورة عن العرب عابدي الأصنام ليكون الدين لله وحده الذي يستحق الحمد وحده لأنه يملك السماوات والأرض ومافيهن وحده.

فكانت نهاية سورة المائدة بقوله تعالى: ﴿ **لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[المائدة :120]، وهاهي سورة الأنعام تبدأ بالحمد لله خالقها قال تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾[الأنعام :1]، فهي بدأت لتقرر العقيدة الصحيحة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة والحجج المتنوعة فهي أساس في مجادلة أهل الكفر بالحجة الدامغة مع كشف ما هم عليه من ضلال وإبطال شبهاتهم وإظهار العقيدة الصحيحة بإثباتها بالأدلة والبراهين فسورة الأنعام تعتبر زاد لأهل الدعوة ومنهج للمحاورين قال صاحب التفسير الأساس رحمه الله: "إن السورة حوار شامل مع الكافرين في كل الإتجاهات الرئيسية للكفر سواءا كانت نظرية أو عملية ولذلك فإن على الداعية إلى الله أن يتملّى حججها ويعرف كيف يقرع بها "،[1] لذا نجد شيخنا يستخرج كثيرا من هداية الآيات العقدية التي ترشد قارئها إلى العقيدة الصحيحة التي تطْمأن لها النفس ويرتاح لها المؤمن وسنقتصر في هذه السورة على أمثلة من هداية الآيات في هذا الجانب المهم الذي هو أساس الدين وهذا ما أشارت إليه هذه السورة في آخرها بقوله عز وجل: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[الأنعام :151].

[1] سعيد حوى، الاساس في التفسير، ج3، ص1661.

وهذا في الوصايا العشر التي هي أساس المجتمع الذي أراده الله سبحانه لهذا العالم كله، فماذا قال شيخنا في هذه الهدايات للآيات المختارة؟

المثال الأول من سورة الأنعام:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[الأنعام :1-3].

أولا: هداية الآيات:

- وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله.
- لا يصح حمد أحد بدون ما يوجد لديه من صفات الكمال ما يحمد عليه.
- التعجب من حال من يسوون المخلوقات بالخالق عز وجل في العبادة.
- التعجب من حال من يرى عجائب صنع الله ومظاهر قدرته ثم ينكر البعث والحياة الآخرة.
- صفة العلم لله تعالى وأنه تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء يعلم السر وأخفى.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج

ليس غريبا أن تشيع بسبعين ألف ملك ولا أن تنزل دفعة واحدة وهي نزلت لتبطل الشرك مهما كان نوعه ونسب أي شيئ في هذا الكون لأي مخلوق مهما كان نوعه قال تعالى: **﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [المائدة :120]، وقال تعالى: **﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾** [الأنعام :1].

لقد وفّق الشيخ في بدء هداية الآيات بقوله: "وجوب حمد الله تعالى والثناء عليه بما هو أهله."، وكيف لا وهو وحده المالك والخالق للسموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيئ قدير، يستحق وحده الحمد والثناء وأنه وحده خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور

فمال هؤلاء المنكرين يحيدون عن الصواب ولا يعترفون بذلك بل يكفرون !؟ قال تعالى: ﴿...**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ** ﴾ [الأنعام :1].

ومن هنا لا يجوز أن يكون الحمد لغيره سبحانه لأنه تفرد وحده بخلقهما وعليه نجد السورة إستهلت ببيان تفرده بالحمد وهذا ما قاله صاحب التفسير الموضوعي في إستنباطه لهدايات مقدمة السورة قائلا : "إستهلت السورة الكريمة ببيان تفرد الله تعالى بالحمد وهو الثناء على الله تعالى بما هو أهله من صفات الكمال والجلال".[1]

وهو يتفق مع ما قاله الشيخ أبوبكر في هذه الهداية قال الشيخ أبوبكر: "لا يصح حمد أحد بدون ما يوجد لديه من صفات الكمال ما يحمد عليه".[2]

فهو وحده الذي له صفات الكمال وبذلك استحق وحده الكمال من جميع خلقه، وهذا ما قال به صاحب المنار في مطلع تفسيره لسورة الأنعام قال:"افتتح الله كتابه بالحمد، ثم افتتح به أربع سور مكيات أخرى مشتملة كل منها على دعوة الإسلام ومحاربة المشركين فيها، الأولى الأنعام وهي آخر سورة كاملة في الربع الأول من القرآن ...لقد قرن الحمد في الأولى بخلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ...وكانت السور الثلاثة مفصّلة لما أُجمل في الأولى مما حمد الله عليه كما أنها مؤيدة لما فيها من إثبات التوحيد والرسالة والبعث".[3]

فالآيات الثلاث أرشدت إلى دلائل وحدانية الله تعالى في ربوبيته وألوهيته ورغم بيانها فإن أهل الكفر من العرب لم يمتنعوا عن الشرك في ألوهية الله تعالى بل تعنّتوا وعدلوا قال تعالى: ﴿...**ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ**﴾ [الأنعام :1] كما بينت أمر البعث كذلك بالأدلة القاطعة ورغم هذا لم يمتنعوا عن الشك في هذا اليوم قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ** ﴾ [الأنعام :2].

[1] مصطفى مسلم ،التفسير الموضوعي، سورة الانعام، ص407.

[2] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص 378، مرجع سابق.

[3] مُحَمَّد رشيد رضا، تفسير المنار، سورة الانعام، ص291. مرجع سابق.

والآية الثالثة وضحت بأن الله تعالى المتّصف بالصفات التي يعرفونها ولا ينكرونها هو الله في عالمي السماوات والأرض، المحيط علمه بكل شيئ فلا ينبغي أن يتخذ معه إله فيهما إلا أن المشركين جهلوا ذلك وذهبوا إلى عبادة غير رب العالمين.[1]

وهذا أُستخلص مما جاء في إرشاد صاحب المنار في هدي هذه الآيات ويتفق مع ما جاء في هداية هذه الآيات للشيخ أبي بكر جابر الجزائري فهو بعد أن أبطل حمد غير الله عز وجل لأنه لا يتصف بصفات الكمال التي تؤهله لهذا الحمد لأن الله سبحانه استدل على وجوب حمده كونه وحده خالق السماوات الأرض وجاعل الظلمات والنور وهو وحده الذي خلق الإنسان من طين ثم جعل حياته في الدنيا إلى حين.

فنرى الشيخ في بدايته يستخلص العجب من أمر الكفرة المشركين بتسويتهم الخالق مع المخلوقين فيتوجهون إليهم بالدعاء طالبين منهم العون لقولهم: "ياسيدي ياسيدي !!كذا وكذا !!"[2] وهذا يشبه ما فعله أهل الشرك في الجاهلية الأولى.[3]

قال الشيخ في هذا الشأن: "التعجب من حال من يسوون المخلوقين بالخالق عز وجل في العبادة"[4]، ثم يردف الشيخ تعجبه في إرشادنا في هداية هذه الآيات ممن يرى صنع الله الذي أتقن كل شيء وهذا يتجلى في خلقه سبحانه للسماوات والأرض وخلق الإنسان من طين ثم هذا الإنسان لا يهتدي إلى الحق، أليس ذلك دليل على وحدانية الله تعالى وعلى أنه قادر على إعادته كما بدأه أول مرة من طين ثم يبعثه وهذا ما جاء في قول الشيخ رحمة الله عليه في هداية الآيات: " التعجب من حال من يرى عجائب صنع الله ومظاهر قدرته ثم ينكر البعث والحياة الآخرة".كما أرشدنا الشيخ إلى أنه تعالى يتصف بصفة العلم المطلق فهو سبحانه يعلم ما يخفى وما يعلن من جميع خلقه فهو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، قال الشيخ:

---

[1] ينظر: الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا، تفسير المنار، ص300، مرجع سابق.

[2] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ص7/6/5، مرجع سابق.

[3] الجاهلية الاولى :جاهلية العرب قبل مجيئ الإسلام.

[4] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ص378، مرجع سابق.

"صفة العلم لله تعالى وأنه تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء يعلم السر وأخفى".[1]

ويستنتج من كل هذا أن جهود الشيخ في إرساء العقيدة الصحيحة من خلال هداية الآيات في تفسيره أيسر التفاسير هو ديدانه الأول كل ذلك بأسلوب سهل يفهمه حتى غير المتخصص في التفسير وهذا ما يهدف إليه أصحاب التفسير الإصلاحي ويمكن أن نستنتج من هذه الهداية للآيات ما يلي:

لقد ابتدأت هذه السورة الكريمة بالحديث عن الركيزة الأساسية للعقيدة الإسلامية وهي الإيمان بالله تعالى فعرفنا الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله وذكرنا بنعمه وعنايته ولطفه بعباده فجاءت المقدمة بمجمل ما فصلته السورة وهذا ما رأيناه في هداية الآيات التي بيّناها فكان هدف السورة من بدايتها تعريف الناس بربهم الحق؛ لتصل من هذا التعريف الى تعبيد الناس لربهم الحق، تعبيد ضمائرهم وأرواحهم، وتعبيد سعيهم وحركاتهم، وتعبيد تقاليدهم وشعائرهم وتعبيد واقعهم كله لهذا السلطان المتفرد، سلطان الله الذي لا سلطان لغيره في الأرض ولا في السماء مصداقا لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الانعام :162] لأنه هو الخالق والرازق والمالك وهو صاحب القدرة والقهر والسلطان.[2]

المثال الثاني من سورة الأنعام:

قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾[الأنعام :36-39].

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص379.

[2] ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص 1017.

أولا: هداية الآيات

- الإيمان بالله ورسوله ولقائه حياة، والكفر بذلك موت فالمؤمن حي والكافر ميت.
- سبب تأخر الآيات علم الله تعالى بأنهم لو أعطاهم الآيات ما آمنوا وبذلك يستوجبون العذاب.
- تعدد الأمم في الأرض وتعدد أجناسها والكل خاضع لتدبير الله تعالى مربوب له.
- تقرير ركن القضاء والقدر وإثباته في أم الكتاب.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج

إن الحياة الحقيقية في الإيمان والممات الحقيقية في الكفر فمن أراد أن يحيا فليكن مؤمنا لأن الحياة في الدنيا زائلة وذاهبة وما هي إلا مرحلة للإبتلاء فيتم فيها التمحيص فينال بها المؤمن دار الحياة "الجنة" قال تعالى: ﴿ **وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ [العنكبوت :64]، وقال تعالى: ﴿ **وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ** ﴾ [آل عمران :141]، لذا تحدث شيخنا مركزا في استنباطه من هذه الآيات على هداية الإيمان بالله ورسوله واعتبره الحياة لأنه يؤدي إلى الحياة الحقيقية التي وعد الله بها أهل الإيمان، ونرى الشيخ بهذا قام بتقريب المعنى لكل مؤمن يحب الحياة فبذلك يزداد القارئ للقرآن تقربا وشوقا لأنه أدرك معانيه وهذا ما كان يهدف إليه الشيخ، فيلمس ويشعر القارئ للقرءان أن الكفر حقا هو الموت.

ثم تطرق الشيخ إلى رحمة الله حتى بالذين كذبوا وجحدوا فلم يجبهم على دعائهم بتنزيل الآية التي طلبوها حتى يؤمنوا كما يزعمون والحقيقة أنهم لا يؤمنون، وبعلمه سبحانه الذي لا تخفى عليه خافية لم ينزل على رسوله ﷺ ما طلبوه رحمة بهم حتى لا يأخذهم العذاب وهذا إمهال لأهل الكفر وشفقة عليهم في هذه الدنيا.

ومن هنا يدرك المؤمن الحي أن رحمة الله في هذه الدنيا تشمل حتى الكافرين وهذا ما جاء في سورة الفاتحة بوصف نفسه سبحانه "الرحمان الرحيم" فتقريب هذه المفاهيم الإيمانية هي التي اهتم بها شيخنا في تفسيره أيسر التفاسير ولم يكن يهتم بها كثير ممن سبقوه في التفسير إلا القليل وقد تميز عن هؤلاء القلة بالتيسير وهذا ما جعله يسمي كتابه في التفسير بأيسر التفاسير

وهو قد أدرك أن أصحاب هذا الزمن قد ابتعدوا عن اللغة العربية ولذا تعسر عليهم فهم كتاب ربهم وهذا للظروف التي سادت العالم الاسلامي ليس محلها هنا حتى نتطرق إليها.

وحين نرجع إلى عدم الإستجابة للخارقة التي طلبوها نجد أن الأمر كله بيد الله لأنه يعلم ما يصلح لهذا البشر بل أكثر من ذلك أنه يعلم ويدبر ما يصلح لهذا الكون والبشر جميعا لا يعلمون إلا ما علمهم الله سبحانه وتعالى، فكما قال صاحب الظلال :"وكانوا يطلبون خارقة ولا يفطنون إلى سنة الله في أخذ المكذبين بالدعوة بعد مجيئ الخارقة وإهلاكهم في الدنيا ولا يدركون الحكمة لعدم مجيئهم بهذه الخارقة،وهو يعلم أنهم سيجحدون بها بعد وقوعها كما وقع بالأقوام قبلهم فيحق عليهم الهلاك بينما يريد الله أن يمهلهم ليؤمن منهم من يؤمن فمن لم يؤمن استخرج الله من ظهره ذرية مؤمنة".[1]

وهكذا يشير شيخنا إلى أمر مهم وهو أمر التدبر الذي طلبه الله منا حتى نستجمع بل ندرك المراد من خلقنا وخلق غيرنا: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ** ﴾ [الأنعام :38]، وهو أن تعدد هذه الأمم في الأرض وتعدد أجناسها إنما هو تحت رقابة الله وتدبيره لا يستطيع أحد منا أن يفلت هنا أو هناك بل الجميع تحت قبضته سبحانه وهذا ما عبر عنه بقوله : "تعدد الأمم في الأرض وتعدد أجناسها والكل خاضع لتدبير الله تعالى مربوب له"،[2] وهنا يتفق الشيخ مع قول الأستاذ سيد قطب في قوله: "أن الناس ليسوا وحدهم في هذا الكون، حتى يكون وجودهم مصادفة وحتى تكون حياتهم سدى إن حولهم أحياء اخرى كلها ذات أمر منتظم يوحي بالقصد والتدبير و الحكمة ويوحي كذلك بوحدة الخالق ووحدة التدبير الذي يأخذ به خلقه كله".[3]

إن كل المخلوقات ما نعرف وما لا نعرف كلهم في قبضته وتدبيره بما يشاء –أي الله سبحانه– يحشرهم يوم القيامة ويقضي في أمرهم بما يشاء قال تعالى: ﴿ **لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** ﴾ [الأنبياء :123]، والإستجابة لما يدعوا إليه رسول الله ﷺ هي حياة القلوب

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص1079.

[2] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص390.

[3] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص1080.

وعدمها موت القلوب وهي بإذن الله تعالى وهذا ما ذهب إليه الإمام الرازي، وأما قوله والموتى يبعثهم الله فيه قولان: الأول أنه مثل لقدرته على ألجائهم إلى الإستجابة، والمراد هو أن الله قادر على أن يبعث من القبور يوم القيامة ثم إليه يرجعون، فكذلك هاهنا أن الله هو القادر على إحياء قلوب هؤلاء الكفار بحياة الإيمان وأنت لا تقدر عليه.

والثاني: وهؤلاء الموتى أي الكفرة يبعثهم الله ثم إليه يرجعون للجزاء فحينئذن يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل إلى إستماعهم.[1]

وختم الشيخ هداية هذه الآيات بتقرير أمر القضاء والقدر أنه لله وحده وبالتالي فإنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم كل ذلك عنده في أم الكتاب أي في اللوح المحفوظ الذي لا يعلمه إلا هو، إنه العلم الخاص به سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الأنعام :39].

فمن أراد الهداية فليطلبها في صدق من الله ﷻ وعظم سلطانه ومن رغب عنها فلن يعطاها .[2]

جاء في التفسير الموضوعي مشابها لما قاله الشيخ: "مامن سالك طريق الحق بصدق وتجرد وعزيمة واجتهاد إلا وفق اليه".[3]

وقال صاحب الظلال: "ووراء ذلك كله مشيئة الله ..المشيئة الطليقة التي قضت أن يكون هذا الخلق المسمى بالإنسان على هذا الإستعداد المزدوج للهدى والضلال عن اختيار وحكمة، لا عن اقتضاء أو إلزام ..وكذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء إلى صراطه مستقيم. بمشيئته تلك التي تعين من يجاهد، وتضل من يعاند، ولا تظلم أحدا من العباد"،[4] قال تعالى: ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ** ﴾ [فصلت :49].

---

[1] فخر الدين الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ج12، ص219.

[2] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري ، أيسر التفاسير ، ج1، ص390.

[3] دكتور مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، ص449.

[4] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص1081.

وبكل هذا يمكن أن نستنتج ما يلي:

1- إن الهداية والضلال هما بمشيئة الله تعالى وفقا لعلمه وحكمته هذا ما جاء مجملا في قوله تعالى: ﴿..**مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ [الأنعام :39].

2- بيان هذه الآية في الآيات التالية: قال تعالى: ﴿.. **وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ** ﴾ [إبراهيم :27]، وقوله تعالى: ﴿.. **يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ** ﴾ [البقرة :26]، وقوله تعالى: ﴿.. **وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ [مُحَمَّد :17]، وقوله تعالى: ﴿.. **وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [العنكبوت :69].

3-إن وظيفة الأنبياء عليهم السلام والعلماء هي التبليغ بأمانة عن الله عز وجل، وهذا ما يسمى بهداية الدلالة على الحق والخير،[1] وأما هداية القلب التي هي بمعنى الإعانة والتوفيق فهي بيد الله عز وجل.

وهكذا نرى شيخنا بذل جهده في تفسيره أيسر التفاسير بالعمل الإصلاحي في هذا المجال وهو إرشاد الناس إلى الخير والحق من خلال عنصر هداية الآيات بعد تفسيرها، فيتضح للقارئ هذا الخير والحق وهذا ما رأيناه أثناء إيضاحنا وتحليلنا لهداية الآيات في الجانب العقدي الذي هو أساس هذا الدين الذي تمثل في أركان الإيمان الست أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره.

وهذه السورة سورة الانعام جالت في القضايا الكبرى الأساسية لأصول هذا الدين التي تلخصت في قضية الألوهية وقضية الوحي والرسالة وقضية البعث والجزاء.

وها نحن نواصل دراستنا في هذا الجانب العقدي بدراسة مثال ثالث في هذه السورة.

المثال الثالث من سورة الأنعام:

قال الله تعالى: ﴿ **وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ**

[1] ينظر: مُحَمَّد رشيد رضا، تفسير المنار، ص65/64.

مُبِينٍ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ [الأنعام :59-62].

أولا: هداية الآيات

- بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة لله تعالى.
- إستئثار الله تعالى بعلم الغيب.
- كتاب المقادير حوى كل شيء حتى سقوط الورقة من الشجرة وعلم الله بذلك.
- صحة إطلاق الوفاة على النوم، وبهذا فسر قوله تعالى لعيسى إني متوفيك.
- تقرير مبدأ المعاد والحساب والجزاء.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج:

وهاهو شيخنا في بداية هداية هذه الآيات يبين بأن مظاهر القدرة والعلم والحكمة هي لله وحده سبحانه ومن هنا فلا يمكن أن ننسب القدرة على إهلاك الظالمين إلى غيره أو علم الغيب إلى أحد دون الله لأن ذلك شرك، وقد جاء في سورة لقمان أن الله هو وحده الذي يعلم خمسة أمور لا يعلمها غيره و هي في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [لقمان :34]، وفي **الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ : لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ ، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ، وَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، وَمَا يَدْرِي أَحَدٌ مَتَى يَجِيءُ المَطَرُ،**[1] ولذا قال رسول الله ﷺ: "**من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة**"[2]، لأنه أشرك مع الله غيره والعلم المطلق هو إليه وحده وللأسف أن بعض الناس يعتقدون أن الكهنة يستطيعون الإخبار عن أمور غيبية

[1] رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم 4697.

[2] رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم2230.

وهذا غير صحيح وإن صدقوا في كلمة فهي مخلوطة بمائة كذبة كما جاء في الحديث: **سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهنة فقال: "ليست بشيء"، فقالوا يا رسول إنهم يحدثون أحيانا بشيء فيكون حقا، فقال رسول الله ﷺ: "تلك الكلمة الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه قرّ الدجاجة فيخلطون معها مائة كذبة"**،[1] فالله وحده المستأثر بعلم الغيب لأنه وحده العالم به فلا يعلمه سواه.

روى مسلم في صحيحه **عن عائشة رضي الله عنها قالت:"من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية"**، والله تعالى يقول: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**.. ﴾[النمل :65]،[2] لذا نجد أن الله مدح المؤمنين بالغيب وأنه سبحانه يكافئهم بالهداية جزاء إيمانهم بالغيب قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾[البقرة :3]، إن الإيمان بالغيب هو قاعدة من قواعد الإيمان الأساسية، بل الإيمان بالله سبحانه هو إيمان بالغيب، فذات الله سبحانه وتعالى غيب بالقياس إلى البشر؛ فإذا أمنوا به فإنما يؤمنون بغيب، يجدون آثار فعله، ولا يدركون ذاته، ولا كيفيات أفعاله.[3]

وفي هذه الهداية استئثار الله سبحانه وتعالى بعلم الغيب ودفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم، قال صاحب كتاب فتح القدير: "ولقد ابتلي الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخذولة ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم غير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق ﷺ "**من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد**".[4]

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، حديث رقم 6213.

[2] رواه مسلم في صحيحه، ص 177.

[3] ينظر: السيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص 1114، مرجع سابق.

[4] ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ص499.

[4] الذهبي، كتاب الكبائر، حديث، صفحة 329.

فهذه إشارة من الشيخ بالإبتعاد عن هذا الإدّعاء ممن لا يعلم الغيب لأنه مؤدات إلى الكفر بما جاء به سيدنا مُحَمَّد ﷺ من عند الله وهذا ما وضحه صاحب فتح القدير ونرى هنا إجماع شيوخنا من الدعاة والمفسرين على أن الإيمان بالغيب هو من أسس الإيمان بالله بل هو قمة التوحيد بالله، والله وحده أحاط بكل شيء صغيره وكبيره، قال شيخنا : "كتاب المقادير حوى كل شيء حتى سقوط الورق من الشجرة وعلم الله بذلك".[1]

فكانت إحاطة علم الله سبحانه بعالم الغيب فضلا عن عالم الشهادة فسبحان الذي أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا، هذا لا يعني أن الإنسان قد جرد تماما من العلم بل إنه سبحانه وتعالى زوده وعلمه بما ينتفع به في هذه الدنيا وما يجعله يتأمل في قدرة الله سبحانه وعلمه المطلق ولا يتجاوز حدوده لأنه مخلوق لمهمة واضحة ألا وهي عبادة الله سبحانه: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات :56]، فهو مزود بمقدار ما شاء الله قال تعالى: ﴿ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ**﴾ [البقرة :256]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)**﴾ [الإسراء :85].

وهذا معناه أن الإنسان لا يستطيع الخروج عن سنن الله في هذا الكون، إلا أنه سبحانه وتعالى بحكمته أطلعه منها بقدر ما يلزم له لعمارة الأرض والقيام بمهمة الإستخلاف، كما منح الله الإنسان القدرة على تسخير قوى الكون وفق هذه السنن لتعميرها، والإنتفاع بأقواتها وأرزاقها وطاقاتها وفق تقديره وتدبيره سبحانه وتعالى وهذا كما يقول الدكتور مصطفى مسلم ردا على الماديين الذين ينفون كل ما وراء المادة ويقولون بالحتمية التاريخية، ولقد أثبتت الأيام كذب إدعائهم وبطلان مزاعمهم وانهيار بنيانهم الذي أسس على شفا جرف هار فبطل ما زعموا وما ادعوا، قال تعالى: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ [المؤمنون :115] ،[2] وهذا دليل على عدم إيمانهم بعلم الغيب انه لله وحده لا يزاحمه فيه أحد، إذن فالإيمان بالغيب هو قمة الإيمان بالله وتوحيده.

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير،ج1 ،ص397،م رجع سابق

[2] ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، ص474/473، مرجع سابق.

ومن قدرة الله سبحانه وتعالى وحكمته ورحمته بخلقه أن جعل النوم راحة وهو في آن واحد عظة لمن يتعظ فصح كما قال الشيخ أن يطلق الوفاة على النوم بذلك ذهب بعضهم كما قال الشيخ أن توفية عيسى عليه السلام كانت في هذا المعنى، وهي عبرة لمن يعتبر لأن في هذه الفترة لا يعي الإنسان بشيء من هذه الدنيا بل يذهب إلى ما شاء الله ويرى ما شاء الله وكأنه قضى ما شاء الله وكل ذلك بقدرة الله وما ذلك إلا إشارة إلى الموت الذي ينتظر كل مخلوق لينتقل إلى عالم الجزاء، قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام :60]، فبقي النوم سرا لم يدرك كنهه العلماء وكأنها الموت ودليل من أدلة البعث وما الأحلام والرؤى التي يراها الإنسان في المنام إلا قطرة من بحار الغيب.

وينظر: إلى ذلك التناسق بين هداية إطلاق الوفاة على الموت وهداية تقرير مبدأ المعاد والحساب والجزاء!.

فهذا الأسلوب الذي نهجه الشيخ في هذا الجانب العقدي يشعرك بقربك دائما من الله عز وجل وعدم الشك في أنك راحل لا محال إلى دار الجزاء، فأنت إن عدت بعد نومك (الموت الصغرى) أي استيقظت فماذا عليك أن تفعل إلا أن تنزه الله سبحانه وتقول: "سبحان الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور" كما أمرنا به نبينا عليه الصلاة والسلام، واذا أويت إلى فراشك لتنام فإنك كذلك تقول: "بسمك اللهم أموت وأحيا"، فأنت دائما مع الله وهذا هو المؤمن الحق، إن الطريقة التي تبناها شيخنا في تفسيره وهي استخراج الهداية، طريقة حكيمة تقرب لك الفهم لكتاب الله الذي هو هدى وموعظة للمتقين.

وقال صاحب تفسير التحرير والتنوير لما ذكر الله سبحانه فيما سبق النوم والموت وهو سبحانه خالقهما فغلبا شدة الإنسان كيفما بلغت بين عقب ذكرهما أن الله هو القادر الغالب دون الأصنام، فالنوم قهر؛ لأن الإنسان قد يريد أن لا ينام فيغلبه النوم والنوم قهر، وهو أظهر،[1] قال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾ [الأنعام :61]، فالرقابة على الإنسان محيطة به في كل لحظة لا يدري متى يرتحل، هذا الشعور لا يدركه إلا من فهم القرآن وهداه الله لهديه فيجعل

[1] ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج7، ص277.

نفسه تشعر بأنها غير منفردة لحظة واحدة وغير متروكة لذاتها لحظة واحدة، فهناك حفيظ عليها رقيب يحصي كل حركة وكل سكنة ويحفظ ما يصدر عنها، لا يند عنه شيء؛ وهذا التصور كفيل بأن ينتفض له الكيان البشري وتستيقظ فيه كل خالجة وكل جارحة فتجعله يستعد للقاء ربه وهو راض عنه لأنه يقر يقينا بمبدأ الميعاد والحساب والجزاء وهذا يجعله يحس بالقدر الغيبي ويحيط به ويعرف أنه في كل لحظة قد يقبض وفي كل نفس قد يحين الأجل المحتوم فيرد إلى ربه،[1] وهنا يكشف الأمر فيكون المؤمن في مسرة والتائه اللاهي في الدنيا في مفاجئة غير سارة، قال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾[المؤمنون :99-100]، وتقرير مبدأ المعاد والحساب والجزاء هو كذلك تضمين لأمر الوعد والوعيد والمخاطبون فيه هم فريقان فريق صالح وفريق كافر وكل منهما إلى ربه راجع، فالصالحون لا يحبون المهلة والكافرون بعكس حالهم، فعجلت المسرة للصالحين والمساءة للمشركين لقوله عز وجل: ﴿ ..**وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ**﴾ [الأنعام :62]، هكذا يكون حال المؤمن في هذه الدنيا فهو بين الرجاء والخوف قال تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا** ﴾ [الإسراء :57]، لا يشعر بذلك إلا إنسان مؤمن وخاصة من قرأ ما جاء في هدي القرآن من خلال هداية الآيات التي يقربها إلى فهمنا أهل العلم والإيمان من امثال شيخنا فيزداد الذين ءامنوا إيمانا.

فهذه الجهود التي قدمها الشيخ أبوبكر من خلال هداية الآيات في جانب العقدي كانت بلسما شافيا من أمراض الشرك وزيغ الشيطان.

فالتفسير الإصلاحي كان يعتمد على هداية الآيات من أجل تقريب الفهم للذين يريدون الإبتعاد عن الضلال المتمثل في البعد عن هدي الرحمان.

المثال الرابع من سورة الأنعام:

[1] ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص1122/1123.
وينظر: خالد السبت، التفسير المحرر، ج7، ص489.

قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام :100-103].

أولا: هداية الآيات

- أن من الإنس من عبد الجن بطاعتهم وقبول ما يأمرونهم به ويزينونه لهم.
- تنزه الرب تعالى عن الشريك والصاحبة والولد.
- مباينة الرب تبارك وتعالى لخلقه.
- استحالة رؤية الرب في الدنيا، وجوازها في الآخرة لأوليائه في دار كرامته.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج

للأسف بعد عرض الله عز وجل لدلائل وحدانيته بل لدلائل ألوهيته ربوبيته يجيء الإنسان بسخافة لا يمكن للعاقل أن يقبلها تمثلت في عبادته للجن الذي هو مخلوق مثله وهو ءاية من ءايات الله التي تدل على ألوهيته وربوبيته له ولغيره ولا أحد يقدر على خلق ذلك وإن كان الله قد أمهل خلقه وخاصة الإنس والجن إلى أجل مسمى.

نرى شيخنا في هداية هذه الآيات ينبهنا على ما حصل من بعض الناس التائهة عن هدى القرآن كيف يصنع بهم الجن حتى يعبدوه من دون الله وذلك بطاعتهم فيما يغضب الله خالقهم المنعم عليهم، لذلك نرى الآيات السابقة بينت غرائب صنع الله وعجائبه، الدالة على أنه الرب وحده، المعبود وحده في قوله عز وجل: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ [الأنعام : 95].

وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام :97]، وقوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ**﴾ [الأنعام :98]، وقوله تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ**

مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ينظر:وا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام :95-99].

فكأن الله أراد أن يقول لنا من خلال هذه الآيات رغم خلقي لكم وإنعامي عليكم تشركون الجن بي وتعبدون معي المعبودات التي لا تنفع ولا تضر، قال تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ**﴾[الأنعام :100]، فالله سبحانه وتعالى تنزه عن الشريك وعن الولد وعن الصاحبة ولا يليق بمقامه سبحانه وتعالى لأنه خلقهم جميعا.

فصاحب الظلال يسفه هذا السخف ويبطله بقوله: "والسياق القرآني يواجههم بسخف هذا الإعتقاد..يواجههم بكلمة واحدة ﴿.. **وَخَلَقَهُمْ**..﴾ وهي كما قال: وهي لفظة واحدة ولكنها تكفي للسخرية من هذا التصور! فإذا كان الله سبحانه هو الذي ﴿**خَلَقَهُمْ**﴾ فكيف يكونون شركاء له في الألوهية والربوبية!؟ "[1]

وليس غريبا ما فعلوه حين عطلوا عقولهم ولم يستعملوها فبذلك كانوا في السعير قال تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ [الملك :10]، بل فعلوا أكثر من ذلك وخرقوا له بنين وبنات سبحانه وتعالى عما يصفون، فالله سبحانه تنزه عن كل ما نسب له من الشريك والصاحبة والولد لأنه تعالى هو وحده مبدع هذا الكون فلا شيء قبله، وكل شيء في هذا الكون هو مبدعه ومن كان كذلك فكيف يكون له الصاحبة والولد وهو تعالى خالق كل شيء لا شبيه له ولا مثيل له ولا ند له فأنّى له الشريك!؟

وهكذا أكد الشيخ على التباين بين الله وخلقه لأنه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ومن هنا أبطل كل عقائد الشرك وبين زيفها فقرر سبحانه العقيدة الصحيحة؛ عقيدة التوحيد، فهو تعالى الواحد لا رب سواه ولا معبود بحق غيره وهو المستحق للعبادة الخالصة لأنه

[1] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص1162، مرجع سابق.

وحده المتولي لأمور جميع مخلوقاته، فهو لا تدركه الأبصار بل يدركها وهو اللطيف الخبير لأنه سبحانه وتعالى لا تحيط به العقول ولا تدركه الأبصار.[1]

كما تطرق الشيخ في هذه الهداية للآيات كذلك إلى مسألة رؤية الله سبحانه من وجهة نظر أهل السنة والجماعة فقال: "إن هذه الرؤيا لا تكون في هذه الدار الفانية التي فيها الإنسان غير مؤهل لذلك وهذا مصداق لقوله تعالى: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ [الأنعام :103]، فقال: إستحالة رؤية الرب في الدنيا، وجوازها في الآخرة لأوليائه في دار كرامته".[2]

وعدم إمكانية رؤية الله سبحانه في هذه الدنيا هو من لطف الله بعباده، وجواز رؤيته سبحانه في الدار الآخرة لأولياءه من كرمه سبحانه لهم: ﴿**وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام :103]، أي اللطيف بعباده الخبير بمصالحهم.[3]

قال الإمام ابن كثير في أمر الرؤيا: "ونفي الإدراك الخاص لا ينفي الرؤيا يوم القيامة، إذ يتجلى لعباده المؤمنين كما يشاء، فأما جلاله وعظمته على ما هو عليه تعالى وتقدس فلا تدركه الأبصار ولهذا كانت عائشة ﵂ تثبت الرؤية في الآخرة وتنفيها في الدنيا وتحتج بهذه الاية: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ سورة الأنعام".[4]

وعليه فإن ما ذهب إليه المعتزلة جانب الصواب من أن الرؤية لا تتم لا في الدنيا ولا في الآخرة اعتمادا على قوله عز وجل: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ** ﴾، ولأن كما قال صاحب التفسير الموضوعي إن هذه الآية لا تنفي رؤية الله بل تنفي إدراك الأبصار أي إحاطتها به تعالى و قد ورد ما يفيد صراحة رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة.[5]

وقد رد صاحب الظلال على أفكار المعتزلة ومن لف لفهم بهذا التعبير الجميل المقنع لمن ينظر في هذا الكون ويتدبر: "إن الذين كانوا يطلبون في سذاجة أن يروا الله، كالذين يطلبون

[1] ينظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، ص525، مرجع سابق.

[2] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص413، مرجع سابق.

[3] مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص410، مرجع سابق.

[4] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص162.

[5] مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، سورة الانعام، ص525، مرجع سابق.

في سماجة دليلا ماديا على الله! وهؤلاء لا يدركون ماذا يقولون!، إن أبصار البشر وحواسهم وإدراكهم الذهني كذلك كلها إنما خلقت لهم ليزاولوا بها التعامل مع هذا الكون والقيام بالخلافة في الأرض..وإدراك آثار الوجود الإلاهي في صفحات هذا الوجود المخلوق ..فأما ذات الله – سبحانه– فهم لم يوهبوا القدرة على إدراكها، لأنه لا طاقة للحادث الفاني أن يرى الأزلي الأبدي فضلا عن أن هذه الرؤيا لا تلزم لهم في خلافة الأرض، وهي الوظيفة التي هم معانون عليها وموهوبون ما يلزم لها.."[1].

كان من لطف الله بالإنسان أن زوده بما يحتاج إليه في وظيفته الموكلة له في هذه الدار الفانية حتى يقوم بها لأنه كما وصف نفسه: ﴿**وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام :103]، وربما يليق بالمقام أن يكون التوقف في الهداية للآية التالية لقوله تعالى: ﴿ **قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ**﴾[الأنعام :104].

فهذه الآيات للقرءان الكريم هي بصائر لمن يأخذ بها يبصر طريق الرشاد وينجو ويسعد.[2]

بإيجازه في استنباط الهداية للآيات عيشنا الشيخ مع القرآن وذوقنا حلاوة بصائره، فاللهم ارحمه واغفر لنا وله واجمعنا به في جنة الفردوس ونحن فيها مع الخالدين.

المثال الخامس من سورة الأنعام:

قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [الأنعام :161-165].

[1] السيد قطب، في ظلال القرآن، ج2، ص1167/1166، مرجع سابق.

[2] ينظر: أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير، ج1، ص414، مرجع سابق.

أولا: هداية الآيات.

- ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام.
- مشروعية قول {إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين} في القيام للصلاة.
- لا يصح طلب رب غير الله تعالى لأنه رب كل شيء.
- عدالة الله تعالى تتجلى يوم القيامة.
- عدالة الجزاء يوم القيامة.
- تفاوت الناس في الغنى والفقر والصحة والمرض، والبر والفجور وفي كل شيء مظهر من مظاهر تدبير الله تعالى في خلقه. ينتفع به الذاكرون من غير أصحاب الغفلة والنسيان.

ثانيا: الإيضاح والتحليل والاستنتاج

إن هداية هذه الآيات كانت عبارة عن خاتمة ملخصة لما جاء في الربع الأول من القرآن الكريم في الجانب العقدي إبتداءا من الفاتحة الملخصة لما جاء في القرآن الكريم وما جاء في الربع الأول من البقرة إلى الأنعام وعليه فإن الشيخ أبابكر بدأ في هدايته بقوله " ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام "، والإسلام كتابه القرآن وبذلك بدأت سورة البقرة بقوله عز وجل: ﴿**الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [البقرة :1-2]، وسيدنا إبراهيم كان من المتقين ثم إن سورة آل عمران أكدت أن الدين عند الله هو الإسلام، وقد أنكرت السورتان البقرة وآل عمران ما كان عليه اليهود والنصارى من انحراف في الدين وشرك فقال القرآن في حق سيدنا إبراهيم في سورة آل عمران لقوله تعالى: ﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[آل عمران:67]، كما أبطلت سورة النساء والمائدة غلو أهل الكتاب وخاصة النصارى في شأن عيسى عليه السلام، فقال تعالى: ﴿ **يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا** ﴾ [النساء :171]، وفي المائدة قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾

[المائدة :73]، فتجيء سورة الأنعام فتقرر في بدايتها الحمد لله لأنه خالق السماوات والأرض وجاعل الظلمات والنور وتعتبر أهل الكفر عادلين ربهم بما سواه يسوّونه بمخلوقاته، وهذا هو الشرك المبين سواءا كان من أهل الكتاب اليهود والنصارى أو العرب المشركين، ثم في ختامها تبين للناس أجمعين أن طريق الحق هو واحد لا غير وهو ما أشارت إليه سورة الفاتحة أول سورة هذا الربع: ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ** ﴾ [الفاتحة :6-7]، ويتمثل فيما جاء به مُحَمَّد ﷺ من عند الله وأساسه عقيدة التوحيد"لا اله الا الله " لعلهم يؤمنون فيوحدون ويسلمون، ويؤمر خاتم النبيئين أن يعلن عن مفاصلته لأولئك المشركين قائلا له: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام :162]، وجاء في تفسير المنار:"إن الله قد ختم هذه السورة بهذه الآيات الكريمة الجامعة فكانت خير الخواتيم في براعة المقطع ذلك بأننا بيّنا في مواضع من تفسيرها أنها أجمع السور لأصول الدين وإقامة الحجج عليها ودفع الشبه عنها، ولإبطال عقائد الشرك وتقاليده وخرافات أهله، وهذه خاتمة مناسبة لجملة السورة في أسلوبها ومعانيها، ذلك بأنه كان مما إمتازت به السور كثرة بدء الآيات فيها بخطاب الرسول ﷺ بكلمة (قل) لأنها لتبليغ الدعوة، كما كثر فيها حكاية أقوال أهل الشرك والكفر مبدوءة بكلمة (وقالوا) مع التعقيب عليها بكشف الشبهة، واقامة الحجة ".[1]

وبهذا يسنّ أن تبدأ الصلاة بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾، وذا ما قال به القرطبي في تفسيره نقلا عن الإمام مسلم في القيام للصلاة.[2]

إن اليقين الذي لا شك فيه هو أن هذا الدين حق لأنه من عند الله وهو وحده الصراط المستقيم وهو دين قيم مستقيم لا عوج فيه وهو الإسلام، لذا أُمر النبي ﷺ أن يعلن ذلك بقوله عز وجل: ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [الأنعام :161]، كما أُمر أن يقول: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ**

[1] مُحَمَّد رشيد رضا، تفسير المنار، ج8، ص238، مرجع سابق.

[2] ينظر: القرطبي، الجامع لاحكام القرآن، المجلد4، ج7، ص154/153.

وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام :163]، وهو إيذان عن إخلاصه عليه الصلاة والسلام في سائر أموره وأحواله وفي جميع أقواله وأفعاله.

فعلى المسلمين التأسي بالنبي عليه الصلاة والسلام حتى يلتزموا في جميع أعمالهم قصد وجه الله سبحانه.

كما أشار الشيخ كذلك إلى وجوب الإخلاص في التوجه إلى رب العزة في العبادة له وحده حتى يتخلص الإنسان من الشرك لأن الشرك ظلم عظيم فيقبل الله منه لأنه لا يصح طلب رب غير الله تعالى ولأنه رب كل شيء هذا ما جاء في قول الشيخ: "لا يصح طلب رب غير الله تعالى لأنه رب كل شيء"،[1] وعليه فإنه لازم على المسلم أن يعلن براءته من الشرك وأهله فالله سبحانه لا رب غيره ولا معبود سواه.[2]

وما أجمل ما قيل في هذا المضمار: "أغير الله أبغي ربا وهذا الكون كله في قبضته ؛ وأنا وأنتم في ربوبيته ؟"[3] بل أقول من العدل والإنصاف أن يقول المؤمن الموحد: "لا أبغي ربا سواه"، قال تعالى: ﴿ **الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [الشعراء :78-83]، كما نبه الشيخ إلى أمر العدل ليعلم الإنسان المؤمن أنه سيقف بين يدي الله ويحاسبه على كل صغيرة وكبيرة ولا يحمل وزر إنسان آخر بل يحاسب على وزره وحده، قال تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت :46]، وقال تعالى: ﴿..**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**..﴾ [الإسراء :15]، وأن الجميع راجع إلى الله رب العالمين قال تعالى: ﴿.. **ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾[الأنعام :164] فيقضي الله بين عباده بالحق والعدل، قال الشيخ في ذلك: "عدالة الله تعالى تتجلى يوم القيامة "[4] لذلك يجب أن ينتبه المؤمن ويعلم أنه

[1] أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير ،ج1، ص238، مرجع سابق.

[2] ينظر: الدكتور مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي، ص604، مرجع سابق.

[3] السيد قطب، في ظلال القرآن، ج3، ص1241، مرجع سابق.

[4] أبوبكر جابر الجزائري،أيسر التفاسير،ج1،ص438، مرجع سابق.

تحت أمر الله ورقابته فيحكم بأمر الله ويعدل بين عباد الله إن ابتلاه الله بمسؤولية ما حتى يتوفاه الله فيحظى برضوانه إن شاء الله.

ما أجمل وأعدل هذه الهداية إنها هداية الله، قال تعالى:﴿..**مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ**..﴾[الكهف :17]، وهذا ما أشار إليه صاحب التفسير الموضوعي من الهدايات المستنبطة: "مهمة الإنسان عبادة الله عز وجل والقيام بحق الخلافة في الأرض بتعميرها وإصلاحها وإقامة موازين العدل والرحمة في إرجائها وفق منهج الله تعالى".[1]

وهذه العدالة تكون يوم القيامة ليجزي الله كل نفس بما كسبت، قال الشيخ:" عدالة الجزاء يوم القيامة"

وأن هذا اليوم هو لله وحده ولهذا قال عز وجل في فاتحة الكتاب التي لخصت كل ما جاء في القرآن: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ [الفاتحة :4]، كما أكد الشيخ كذلك على أن الله هو الذي استخلف هذا الإنسان في أرضه وجعل التفاوت بين الناس كل ذلك بتدبيره وأمره فتجلى هذا التفاوت في الفقر والغنى والصحة والمرض والبر والفجور...، وهذا يستفيد منه الذين يتفكرون ويتدبرون الذاكرين الله كثيرا من غير الغافلين الناسين.

كما توجت هذه السورة في آخرها بالترهيب من الشرك والبعد عن الله والترغيب في توحيد الله والقرب منه بذلك يسعد الإنسان في الدنيا والآخرة، وكما قال أهل العلم أن نفي هذا التفاوت حكمة هو يعلمها وقد أبان عنها، هذا من أجل تبادل المنافع واكتمال منظومة الحياة وتحقيق التعاون بين الناس وتبادل الخدمات فيما بينهم، قال تعالى: ﴿ **أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾[الزخرف :32].

فسورة الأنعام بينت ملكية الله سبحانه للسماوات والأرض وأعلن في خاتمتها أنه سبحانه استخلف الإنسان في الأرض بما هيئه من ملكات وطاقات تعينه على القيام بهذه

[1] مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي،سورة الانعام، ص605، مرجع سابق.

المهمة الجليلة الشأن التي لن تتم إلا بمنطلق إيماني ومنهج رباني لذلك كانت السورة تدور حول ذلك والحمد لله رب العالمين.[1]

خلاصة :

والخلاصة من كل ما رأينا نجد القرآن قد اعتبر تأليه العباد كما فعل اليهود والنصارى أو تأليه الحجارة أو أي شيء من مخلوقات الله كما فعل العرب شركا بالله سبحانه وبالتالي كفرا وهذا ما رأينا في أثناء تناولنا لهداية الآيات في الجانب العقدي عند تتبعنا للأمثلة في هذا المجال في الربع الأول من القرآن الكريم من سورة الفاتحة إلى سورة الأنعام.

ومن هنا تبرز قيمة الجهود التي ركز عليها الشيخ في تفسيره الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب العقدي لأنه هو الأساس الذي يُبنى عليه ما يريده الإسلام وهو تحقيق مجتمع مسلم لا يدين إلا لله الواحد القهار بشريعة سامية ومجتمع راق لا يدين إلا لله، وهذا هو المجتمع المتكافل والمتضامن الذي حققه رسول الله وسار على هديه صحابته عليهم رضوان الله فكانوا قادة للعالم بأمر الله.

فهل يستيقظ المسلمون مرة اخرى ويعودون إلى دينهم فينقذون أنفسهم والعالم من حولهم؟!

كما يمكن أن نقول بأن الشيخ إستطاع أن يحقق أهم خصائص التفسير الإصلاحي وذلك بإبرازه الغرض الهدائي في أثناء تناوله لهداية الآيات، كما أنه حقق كذلك وحدة الموضوع بين هداية الآيات للآيات وذلك كما قال هو في مقدمته وكما رأينا في هذا المبحث، فإنه يجمع بين آيتين أو ثلاثة أو أكثر ذات الموضوع الواحد ويستخرج هدايتها كما أنه حقق كذلك التجديد وعدم التقليد في تناوله هداية الآيات كل ذلك رأيناه في مبحث جهوده في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب العقدي.

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص606.

الخاتمة

الخاتمة

وها أنا بحمد الله تعالى ومنّه علي ختمت بحثي هذا في هذه الظروف الصعبة التي لا تخفى على أحد، كنت أتمنّى أن أكون في غرفتي في الجامعة وأنا أنسج هذا البحث بعد أن أجمع المعلومات لهذا الموضوع الشيق والصعب في آن واحد وخاصة المبحث الثاني الذي تناولت فيه جهود شيخنا في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات، إلا أنني لما توكلت على الله ورسمت خطة البحث فيه بعد أن استمعت لشيخي الفاضل الدكتور عباس منصر شجّعني أثناء مكالمتي له في الهاتف بقوله :"إنها خطة مقبولة قابلة للتعديل"، أخذت أبحث في مصطلحات الموضوع وذلك بعد أن حدّدت وضبطت مخطط الموضوع فتبين لي أنه كما قال لي شيخي عباس منصر أنه فيه جانب تطبيقي عملي يتمثل في جهود الشيخ أبي بكر في التفسير الإصلاحي من خلال عنصر هداية الآيات وحدّدته بالجانب العقدي. ولما استقرأته وجدته ليس هيّناً إنما يحتاج إلى فهم عميق وخطة مُحكمة، ونظرا للظروف والوقت لم أُعطه حقه كما أدركت وأحسست ولكنّي استطعت بعون الله أن أدرك الجهود التي بذلها الشيخ أبو بكر في تقريب الفهم لنا من خلال هداية الآيات كما سمّاها؛ وهي الإستنباطات الهدائية للآيات القرآنية في جوانبَ كثيرة اقتصرت أنا على الجانب العقدي في بحثي هذا، وبعد بحثي ودراستي المظنية لكنّها كانت ممتعة وشيّقة لأني من خلالها عرفت من هو شيخنا أبو بكر جابر العلّامة في كثير من العلوم الإسلامية من بينها الفقه والسيرة وخاصة التفسير الذي تناولت منه ما تفرّد به عن المفسرين من قبله وخرجت بعد هذه الدراسة بالنتائج والتوصيات التالية :

أولا: النتائج

1- إن تفسير أبي بكر يُعتبر تفسيرا إصلاحيا وذلك لأنه استطاع أن يحقق فيه أهم خصائص التفسير الإصلاحي والتي من أهمها: إبراز الغرض الهدائي ووحدة الموضوع والتجديد وعدم التقليد والتسهيل لتيسير الفهم للجميع هذا ما رأيناه من خلال إستقراءنا وتتبعنا لهداية الآيات.

2- من خلال ترجمتي للشيخ أبي بكر أدركت أنه علّامة من العلماء الربّانيين الذين جاهدوا بلسانهم ومالهم في الدعوة إلى الله على بصيرة، وبحكمة وموعظة حسنة على هدي المصطفى ﷺ.

3- إستطاع الشيخ أن يؤلف تفسيرا تميز بمميزات انفرد بها عن جميع التفاسير التي سبقته وخاصة ميزة بيان هداية الآيات القرآنية في نهاية كل مقطع يقوم بتفسيره وذلك بأسلوب سهل مفيدٍ ومُيسّرٍ.

4- إنه تفسير لكل مسلم ومسلمة وذلك بتقريب معاني كتاب الله تعالى إلى أفهام عامة المسلمين.

5- بذلك قد يكون الشيخ أبو بكر أول رائدٍ للتفسير الإصلاحي في عصرنا الحاضر.

6- قيمة الجهود التي ركز عليها الشيخ وأبرزها في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب العقدي لأنه يراه هو الأساس الذي بُني عليه ما يريده الإسلام والذي يتمثل في تحقيق مجتمع مسلم لا يدين إلا لله الواحد القهار بشريعة سامية ومجتمع راقٍ لا يدين إلا لله وحده، وهذا هوا المجتمع المتكافل والمتضامن الذي حققه رسول الله ﷺ وسار على هديه صحابته عليهم رضوان الله فكانوا قادة العالم بأمر الله.

7- إن الشيخ أبا بكر بتقديمه هداية الآيات في الجانب العقدي أراد أن يحررنا من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، كما قال أحد العلماء :"من أراد أن يكون حرا فليكن عبدا لله، ولا يكون عبدا لله حتى يكون موحّدا لله"، وما أعظم ما قال سيدنا بلال ﷺ وهو في أشد العذاب على يد أحد كبار طُغاة قريش: "أحد أحد.."، إن عقيدة التوحيد هي أعظم ما يملكه المؤمن لأنه بذلك يكون حرا في هذه الدنيا فائزا في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ **لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ [يونس :26].

على الأمة الإسلامية أن تعود إلى دينها حتى تنقذ نفسها والعالم من حولها.

ثانيا: التوصيات

- يُستحقّ أن تُجرى على الشيخ أبي بكر دراسات وبحوث في الجامعات لأنه قدوة يُقتدى به في هذا العصر.

- إجراء الدراسات والبحوث على تفسيره أيسر التفاسير لما فيه من كنوز وفوائد علمية ودينية وتربوية.

– يجب أن يُهتم بتدريس كتابه أيسر التفاسير خاصة في مرحلة الإبتدائي والمتوسط والثانوي من أجل تربية أبناءنا على فهم كتاب الله منذ الصغر حتى نضمن لأمتنا جيلا قرءانيا يهتم ويحرص على فهم كتاب الله وتطبيقه، وما أصاب الأمة من انحراف إلا بسبب البعد عن كتاب الله وعن سنة نبيه ﷺ.

– علينا إبراز علماء التفسير الإصلاحي وتفاسيرهم من أجل تخليدهم والإستفادة منهم والإضافة إلى ما أنجزوا حتى تتقدم الأمة، لأن الأمة لا تتقدم بالعلوم التكنولوجية وحدها، وصدق الشاعر إذ يقول:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت...فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا.

– ووصيتي لطلاب الجامعة وخاصة قسم أصول الدين في مرحلة الليسانس والماستر والدكتوراه أن يبذلوا جهودهم في الكشف عن خبايا هذا التفسير الإصلاحي –أيسر التفاسير– الثمينة في الجانب التربوي والإجتماعي مع زيادة في بلورة الجانب العقدي لأني لا أدّعي لنفسي أني قد أعطيته حقه وإنما قد أكون ربما فتحت الشهية لتناول ذلك بالإهتمام والدراسة بهذا التفسير الغني بالكنوز النافعة لعلنا بذلك نعيد أمتنا إلى مجدها وعزتها التائهة بسبب تيه أهلها عن هداية الآيات الشافية.

اللهم خذ بنا إلى ملة الإسلام النافعة، ما أعظم ما قام به شيخنا في هذا التفسير الإصلاحي خدمة لكتاب الله عز وجل، فجزاه الله كل خير وغفر لي وله ولجميع المسلمين آمين يا رب العالمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- قائمة المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الأيات

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ...﴾	الفاتحة	1- 7	77
﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة	2	83/78
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ..﴾	البقرة	6-7	79/25
﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ..﴾	البقرة	255	80
﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ..﴾	البقرة	285-286	81
﴿الم اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ..﴾	آل عمران	1-6	82
﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ...﴾	آل عمران	26-27	84
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ...﴾	آل عمران	190-195	86/89
﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ...﴾	النساء	1	90/91 92/93
﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾	النساء	87-90	94/93
﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا...﴾	النساء	174-175	94
﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ...﴾	المائدة	1-2	97
﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ...﴾	المائدة	17-19	99
قال الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ...﴾	المائدة	73-76	101
﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ...﴾	المائدة	116-120	106
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَل...﴾	الأنعام	1-3	112
﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّه...﴾	الأنعام	36-39	115
﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ ...﴾	الأنعام	59-62	119
﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ ...﴾	الأنعام	100-103	124
﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا...﴾	الأنعام	161-165	128

فهرس الأحاديث

الحديث أوطرفه	التخريج	الكتاب	الصفحة أو الرقم	الصفحة في المذكرة
عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : أن رسول الله ﷺ قال :"إِذَا مَاتَ اِبْنُ آدَمَ اِنْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ .."	الألباني	السلسلة الصحيحة	2/556	8
عن عمر ﷺ قال: "... قال فأخبرني عن الإيمان قال :أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره"	الألباني	تخريج كتاب السنة	172	76
وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قوما تفكروا في الله عز وجل فقال النبي ﷺ "تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فإنكم لن تقدروا قدره"	السخاوي	المقاصد الحسنة	191	88
سئلت السيدة عائشة ﷺ عن أعجب ما رأته من رسول الله ﷺ فبكت و قالت :"كل أمره كان عجب،..."	شعيب الأرناؤوط	تخريج مشكل الآثار	4618	89
عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ كَرِيزٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:".. وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ "	الإمام مالك	الموطأ	1/214	109
عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ: لاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي غَدٍ ، وَلاَ يَعْلَمُ أَحَدٌ مَا يَكُونُ فِي الأَرْحَامِ،..."	البخاري	صحيح البخاري	4697	120

سأل رسول الله ﷺ أناسا عن الكهنة فقال :"ليست بشيء"، فقالوا يا رسول إنهم يحدثون أحيانا بشيء فيكون حقا،...."	البخاري	صحيح البخاري	6213	121
عن عائشة رضي الله عنها قالت :من زعم أن رسول الله ﷺ يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية،..."	مسلم	صحيح مسلم	177	121
"من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد"	الذهبي	كتاب الكبائر	329	121
"من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة"	مسلم	صحيح مسلم	2230	120

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1.إبن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، دون طبعة، دار سحنون للنشر والتوزيع، دون سنة نشر، تونس.

2.أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة لبنان –بيروت–، دون سنة نشر.

3.إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دون طبعة، دار الفكر، دون سنة نشر.

4.جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت.

5.عبد الله بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دون طبعة، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، 1387هـ/1967م، القاهرة.

6.فخر الدين الرازي، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ط1401،1هـ/1981م.

7.مُحَمَّد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، 14405هـ/1984م.

8.مُحَمَّد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط3، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية–الرياض، 1433هـ/2012م.

9.أبوبكر جابر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكير، ط1، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، 1423هـ 2002م.

10. أبوبكر جابر الجزائري، رسائل الجزائري، ط1، دون دار نشر، 1392هـ، دون مكان نشر.

11. أبوبكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، ط2، مكتبة الكليات الأزهرية حسين مُحَمَّد امبابي وشركاؤه، 1398هـ/1978م.

12. أبوبكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، ط8، دار الفكر، 1396هـ/1976م، دون مكان نشر.

13. أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، ط1، دار المعرفة 1970م، دون مكان نشر.
14. أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، دون طبعة، الدار القومية، الجمهورية العربية المتحدة، 1375هـ/1965م.
15. خالد بن عثمان السبت، التفسير المحرر للقرآن الكريم،ط1، الدرر السنية، المملكة العربية السعودية، 1437هـ/2012م.
16. دراجي مُحَمَّد ،محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين.
17. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دون طبعة ، دار الكاتب العربي، 1392هـ، دون بلد نشر.
18. سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط1، دار السلام، بيروت، 1405هـ/1985م.
19. سعيد حوى، الله ﷻ، دون طبعة، دار عمار بيروت، دون سنة وبلد نشر.
20. السيد سابق، عناصر القوة في الإسلام، دار الكتاب العربي، ط2، بيروت-لبنان، 1393هـ/1983م.
21. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، 1393هـ/1973م.
22. صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، ط3، دار القلم، دمشق، 1469هـ/2007م.
23. صلاح عبد الفتاح الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، دار الشهاب باتنة الجزائر.
24. عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس أو مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: مُحَمَّد الصالح رمضان وتوفيق مُحَمَّد شاهين، الناشر: دار الكتاب الجزائري، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة، دون سنة نشر.
25. عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث، الجزائر-قسنطينة، 1402هـ/1982م.

26. عبد العزيز بن عبد الله بن عبد العزيز الرومي، نظرات في كتاب أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبي بكر جابر الجزائري، ط1، مكتبة التوبة الرياض، 1433هـ 2012م.

27. عبد الفتاح الخالدي، مدخل إلى ضلال القرآن، دون طبعة، دار الشهاب، الجزائر- باتنة، دون سنة نشر.

28. عز الدين الخطيب التميمي، نظرات في الثقافات الإسلامية ،دار الشهاب، 1988 الجزائر-باتنة.

29. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط3، مؤسسة الرسالة بيروت، 1418هـ 1997م.

30. فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، إتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ط3، مؤسسة الرسالة، السعودية-الرياض، 1418هـ/1997م.

31. كمال أبو سنة ،أسهل التفاسير، دار الخلدونية الجزائر.

32. مُحَمَّد ابن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القراءات و اتجاهات التفسير،ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1410هـ 1990م.

33. مُحَمَّد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط3،مكتبة وهبة، القاهرة، مارس1961م.

34. مُحَمَّد الدراجي، محاضرات في علم النفسير ومناهج المفسرين، ط1، دار غبريني الروبية الجزائر، 2005م.

35. مُحَمَّد الفاضل بن عاشور، التفسير ورجاله، مجمع البحوث الإسلامية، 1390هـ/1970م.

36. مُحَمَّد بن رزق بن طهروني، التفسير والمفسرون في غرب افريقيا، ج2، ط1دار ابن الجوزي المملكة العربية السعودية، 1426هـ.

37. مُحَمَّد بن لطفي الصباغ، لمحات في علوم القرآن واتجاهات التفسير، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1410هـ/1990م.

38. مُحَمَّد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.
39. مُحَمَّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ط2، دار المنار، 1366هـ/1947م.
40. مُحَمَّد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ط3، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاءه، دون سنة نشر.
41. مُحَمَّد علي الصابوني، صالح أحمد رضا، مختصر تفسير الطبري، ط2، مكتبة رحاب، الجزائر، 1408هـ/1983م..
42. مُحَمَّد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ط5، دار الضياء قسنطينة، 1411هـ/1990م.
43. مُحَمَّد علي إيازي، لمفسرون حياتهم ومنهجهم، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، 1312هـ، طهران.
44. مُحَمَّد مكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ط1، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1405هـ/1985م.
45. محمود قاسم، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف، مصر-القاهرة، 1968م.
46. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، التحرير في أصول التفسير، تقديم: مُحَمَّد بن صالح الفوزان، ط1، الناشر :مركز الدراسات والمعلومات القرآنية معهد الإمام الشاطبي جده، ط1، 1435هـ 2014م.
47. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، فصول في أصول التفسير، تقديم: مُحَمَّد بن صالح الفوزان، ط1، دار النشر الدولي، الرياض، 1413هـ/1993م.
48. مساعد مسلم آل جعفر ومحي هلال السرحان، مناهج المفسرين، ط1، ، دار المعرفة، 1970م.
49. مصطفى مسلم وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ط1، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة، 1431هـ/2010م.

50. مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، ط2، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض، 1416هـ/1996م.

51. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ط3، دار القلم، 1421هـ/ 2000م، دمشق.

52. الإمام مالك في "الموطأ.

53. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط2، دار المعارف، 1392هـ/1972م، مصر.

54. ابن منظور، لسان العرب، دط، مج1،ج9، دار المعارف، 1431،2010هـ.

55. أبي بكر ابن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، حققه لجنة من علماء العربي، طبعة دار المعارف بمصر 1119م

56. أحمد ابن فارس ابن زكريا، مقاييس اللغة، مراجعة وتعليق أنس مُحَمَّد الشامي، دون طبعة، دار الحديث القاهرة ، دون سنة نشر.

57. علي بن محد الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق: مُحَمَّد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دون سنة نشر.

58. عبد الرزاق هرماس، النزعة الإصلاحية المعاصرة في التفسير بالغرب الإسلامي، مجلة دار الحديث الحسنية، دون عدد وسنة نشر، جامعة ابن زهر، أكادير.

59. عبد الله عثمان علي المنصوري، المقاصد الإيمانية في جزء قد سمع من خلال أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لأبي بكر الجزائري، المجلد 2013 العدد 10، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، اليمن، 31 ديسمبر 2013.

60. مجلة الإصلاح، (السنة الأولى من العدد 1 إلى العدد 6 1428هـ/2007م)، ط1، دار الفضيلة، 1431هـ/ 2010م، الجزائر العاصمة.

61. المسعود جمادي، مقال: الشيخ أبوبكر جابر الجزائري الواعظ المصلح الفقيه المفسر، مجلة الأحياء، المجلد19، العدد22، سبتمبر2019.

62. موقع "المكتبة الشاملة" من الشبكة العنكبوتية، على الصفحة الآتية:

https://**shamela**.**ws**

63. الموقع الرسمي لـ "أبي بكر جابر الجزائري"، من الشبكة العنكبوتية، على الصفحة الآتية:
htpp://algzaeri.com

64. موقع "أعلام السلفية 13 "، من الشبكة العنكبوتية، على الصفحة الآتية:
https://salafcenter.org

65. موقع "المكتبة الشاملة الحديثة"، من الشبكة العنكبوتية، على الصفحة الآتية:
al-maktaba.org

66. موقع "إبن باز" من الشبكة العنكبوتية، على الصفحة الآتية:
binbaz.org.sa

67. الموقع المستعمل في تخريج الأحاديث www.dorar.net

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ
المبحث الأول: الشيخ أبو بكر جابر الجزائري و التفسير الإصلاحي	1
المطلب الأول: التعريف بالشيخ أبو بكر جابر الجزائري	2
الفرع الأول: نسبه ومولده ونشأته	2
الفرع الثاني: حياته العلمية وشيوخه وتلاميذه	3
الفرع الثالث: مذهبه العقدي ومكانته العلمية	6
الفرع الرابع: وفاته وثناء العماء عليه	7
المطلب الثاني: كتابه أيسر التفاسير	11
الفرع الأول: التعريف بالكتاب	11
الفرع الثاني: قيمة أيسر التفاسير	15
الفرع الثالث: طبعات أيسر التفاسير ومنهجه	20
المطلب الثالث: التفسير الإصلاحي وخصائصه وأعلامه	30
الفرع الأول: مفهوم التفسير الإصلاحي	31
الفرع الثاني: أهم خصائص التفسير الإصلاحي	36
الفرع الثالث : بعض أعلام التفسر الإصلاحي	47
المبحث الثاني :جهود الشيخ أبي بكر جابر الجزائري في التفسير الإصلاحي من خلال هداية الآيات في الجانب العقدي	68
المطلب الأول: شرح مصطلحات المبحث	69
الفرع الأول: مفهوم الجهود	69
الفرع الثاني: مفهوم هداية الآيات	71

الفرع الثالث: مفهوم الجانب العقدي أو العقائدي	74
المطلب الثاني: هداية الآيات في الجانب العقدي من سورة الفاتحة و البقرة وآل عمران	77
الفرع الأول : أمثلة من سورة الفاتحة	77
الفرع الثاني : أمثلة من سورة البقرة	78
الفرع الثالث : أمثلة من سورة آل عمران	82
المطلب الثالث: هداية الآيات في الجانب العقدي من سور النساء والمائدة والأنعام	90
الفرع الأول : أمثلة من سورة النساء	90
الفرع الثاني : أمثلة من سورة المائدة	96
الفرع الثالث : أمثلة من سورة الأنعام	109
الخاتمة	135
فهرس الآيات	139
فهرس الآحاديث	140
قائمة المصادر والمراجع	142
فهرس الموضوعات	147